الدولة الفاطمية نشأتها وتطورها وتوسعاتها

The Fatimid state . It's origin , Development and Expansion

م. جواد كاظم حسن

كلية الامام الكاظم(ع) / قسم القانون

Instructor Jawad Kadhim Hassan
Imam Al-Kadhim College (IKC)—Department of Law
Kadhimjawad697@alkadhum-col.edu.iq

الدولة الفاطمية نشأتها وتطورها وتوسعاتها

م. جواد كاظم حسن

المستخلص

لم يكن ظهور الدعوة الفاطمية في بلاد المغرب العربي مفاجئة للنظام السياسي العباسي في حاضرته بغداد ، بل كان متوقعا لكثر الاعمال التي قام بها العباسيين ضد العلويين ومنه النفي والطرد الى اطراف الدولة العباسية في المناطق الجبلية منها خاصة ، ولقد استعان الفاطميون بكثير من القبائل التي تقطن تلك المناطق لقيام دولتهم في المغرب ثم الانتقال الى بلاد النيل (مصر) في بلادهم ، لدولة في تلك البلاد.

الكلمات المفتاحية: الدعوة الفاطمية . سجلماسة . المغرب . عبدالله الشيعي . كتامة. بدر الجمالي

Abstract

The emergence of Fatimid in Al- Maghreb(Morroco) was not a surprise to the Abbasid political regime in its presence in Baghdad. Rather, it was expected due to the large number of actions undertaken by Abbasids against Al-alawyeen including exile and expulsion to the outskirts of the Abbasid state, especially in the mountainous areas. The Fatimids used many of the tribes that inhabiting those neighboring areas to establish their state in Al-Maghreb and then move to Egypt to be more near to the Abbasids in Baghdad. Moreover, the Fatimids used many of the tribes in Egypt to establish their state in that country.

المقدمة

لم يكن ظهور الدعوة الفاطمية[١] في بلاد المغرب الأوسط في نهاية القرن الثالث الهجري/ بداية القرن العاشر الميلادي(٢٩٧هـ/٩٠٩م) قد فجأ العالم الإسلامي لأنَّ اهتمام بني عبيد بالمغرب، بدأ في بلاد المشرق، منذ إرسال الداعيتين لهما من مقرهم في السلمية(٢) وهما عبد الله بن علي المعروف بالحلواني(٣) وأبو سفيان الحسن بن القاسم(٤)، حيث زودا بالوصايا في استمالة البربر لدعوتهم، وقد استطاع هذان الداعيان، أن يكسبا أنصاراً في العديد من المدن والحواضر المغربية في

المغربين الأوسط والأقصى وأهمها مدينة "تادلة"[٥]، ومدينة مرماجنة[٦]، والأربس[٧]، ونفطة[٨]، ومسكيانة[٩]، ومجانة[١٠]، وسبيبة[١١]، وباغاية[١٢]، مما أوجد ركائز ومنطلقات للحركة الفاطمية السياسية في فضاء هذه المدن، هذا فضلاً عما اكتسبته الحركة في استقطاب واستمالة الكتاميين البربر من دعوة الأدارسة لحركتهم وقيام دولتهم باسم العلويين الحسينيين مما هيأ الفرصة لنجاح حركة الفاطميين الحسينيين[١٣]، ويوضح موسى لقبال هذه الفكرة بافتراضه، إن قيام دولة الفاطميين في المغربين الأوسط والأقصى يمثل أول نجاح لهم يحمل في طيّاته الإرهاص بنجاح فرع الحسينيين في إقامة أكبر دولة علوية في بلاد المغرب[١٤].

غير أن مناهضة أهل المغرب للفاطميين[١٥] تحت هذا الاسم باستعداء البربر عليهم بزعم أن هؤلاء ليسوا من العلويين، بل هم عبيديون[١٦] لا ينسبون إليهم، كما هو الشائع في الكتابات التاريخية للمؤرخين المشارقة والمغاربة.

وهكذا فإننا لا نسرف بالقول، فقبل أن يتوّج جهود الفاطميين بقيام دولتهم السياسية استطاعت المعارضات المتجهة من المشرق أن تزرع في ربوع المغرب الحركة الانفصالية ضد الدولة العباسية، التي أينعت بظهور مجموعة من إمارات المدن والمراكز في المغربين الأوسط والأقصى ولكن لم يتح لها النمو والتوسع وبقت داخل حدودها[١٧] الأمر الذي شجّع الفاطميين على النهوض، إذ إنَّ لقاء هذه الإمارات أسيرة داخل المدن، أفسح المجال للعمل على استقطاب الفاطميين للأتباع والأنصار إليهم.

والظاهر أن انتهاء الداعيتين عبد الله بن علي بن أحمد الحلواني وأبي سفيان الحسن بن القاسم اللذين أرسلهما عبيد الله المهدي بوافتهما، أدى إلى اختيار ما عرفته المصادر باسم " الداعي " وهو الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الذي يُكنّى بأبي عبد الله، كما كانت له ألقاب عدّة منها " الصنعاني " و " المحتسب " و " المعلم " و " الصوفي " و " الشيعي " و " الأحوازي "[١٨].

لكي يحلّ بأرض المغرب ويقود الدعوة الفاطمية، ويذكر ابن عذارى[١٩] إنَّ أبا عبد الله، التقى بعشرة من زعماء قبيلة كتامة في الحجاز واستمالهم لدعوته، واتفق معهم على الرحيل إلى بلاد المغرب ليعبئ كتامة[٢٠] وبقية القبائل البربرية الأُخرى مثل " عجية " و" زواوة "، فيكوّن بها قوة تستطيع أن تثبّت أقدامها في هذه البلاد النائية عن نفوذ العباسيين[٢١] وأُمرائهم، فقد بدأت بحلول أبي عبد الله الشيعي لبلاد المغرب، مرحلة مهمّة من مراحل التقدم الفاطمي في توسيع فضاء الدعوة وتأمين مرتكزاتها وتقصيّه للأوضاع والظروف، فاستطاع أن يوحّد صفوف قبيلة كتامة للنهوض بأعباء الدعوة من الناحيتين الاجتماعية والعسكرية، فكان يقول لهم: " أنا لا أدعوكم لنفسي، وإنما أدعوكم لطاعة الإمام المعصوم من أهل البيت "[٢٢]. وقد عَدَّ المقريزي أبا عبد الله الشيعي (أحد رجالات العالم) القائمين بنقض الدول وإقامة الممالك العظام من غير مال أو رجال [٢٣].

ويبدو أن أول قوة سياسية، كان عليه أن يجابهها أبو عبد الله الشيعي ويعلن تحديه لها هم الأغالبة[٢٤]. وقد جاء ما يشير إلى ذلك فيما ذكره المؤرخون، أن الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد (٢٦١-٢٨٩هـ/٨٧٤-٩٠١م) أرسل إليه أحد رجاله، ليستطلع جليّة أمر الداعي، بعد أن ظهر في مدينة " يكجان "[٢٥]، ولما عاد رسول الأمير إليه كانت ردود أبي عبد الله على رسالته، تبعث على الخوف وعدم الاطمئنان[٢٦] حتى أنه " عرف أنه قطع دعوته "[٢٧].

المبحث الاول/ قيام الدولة الفاطمية

على الرغم من أن الأُمراء الأغالبة الذين خلفوا إبراهيم بن أحمد، قاوموا الحركة الفاطمية، بجهود موفقة، ضد مناطق نفوذها في مدن " تازروت "[٢٨]، و " رميلة "[٢٩]، غير أن الكارثة حلّت بأسرة الأغالبة في مدينة الأربس، إذ فرَّ آخر أُمرائهم وهو زيادة الله إلى بلاد المشرق. ويذهب موسى لقبال إلى أنه كان يمكن للحركة الفاطمية أن تُشل ويبدّد شمل رجالها على يد الأغالبة، لو لم يرتكب زيادة الله آخر أُمرائهم، بدافع الخوف على مركزه جرماً كبيراً بقتله لأخيه أبي عبد الله محمد الملقب بالأحول، الذي أبانت الأحداث عن مدى أهميته لاستمرار نظام الدولة، وإنَّ اختفاءه كان بداية النهاية لأسرة الأغالبة في بلاد المغرب[٣٠].

ويمكن القول: إنَّ الانكسار الأغلبي الذي تعرضت له جيوشهم قد مهّد لاتخاذ الخطوة الثانية التي بدأ أبو عبد الله الشيعي ينفّذ خيوطها بالهجوم على المدن والمناطق والإجهاز على الإمارات ودويلات المدن والمجمّعات القبائلية وإخضاعها بالقوة أو بالأمان، وكانت سنة (٢٨٩هـ/٩٠١م) سنة انتشار العساكر الفاطمية في المغربين الأوسط والأقصى، بعد أن تمكّن أبو عبد الله من استخلاص القادة من رجال القبائل الموالية، وكانت هزيمة عساكر الأغالبة في موقعة " كينونة " [*] قد فتحت الطريق أمام الفاطميين لتسجيل النصر على جيوش الخوارج الصفرية في المغرب الأقصى[٣١]،ومن ثم أتيح له

الزحف نحو مدن " سطيف "[٣٢]، و" بلزمة"[٣٣] و " باغاية "، و" قرطاجنة "[٣٤]،و"تبسة"[٣٥] ، و"القصرين "[٣٦] في إقليم قمودة[٣٧] ثم الاستيلاء على" قسنطينة "[٣٨]،و" تيجس "[٣٩]،

و " قفصة " [٤٠]، ومن ثم دخلت جيوشهم مدينة الأربس مما أتاح لهم احتلال مدينة "رقادة"[٤١] حيث تمت تصفية دولة الأغالبة بالزحف النهائي على القيروان[٤٢].

وهكذا، فقد تراءى لأبي عبد الله الشيعي، أنه لم يتبقَ أمامه سوى النهايات لاستحكام حلقات سيطرته التامة على أهم مفاصل بلاد المغربين الأوسط والأقصى، فكتب إلى عبيد الله المهدي، يحثه على القدوم، وحينما حلَّ هذا الأخير متخفيّاً إلى مدينة " سجلماسة "[٤٣]حاضرة بني مدرار حيث أكرمه أميرها اليسع بن مدرار[٤٤]، ولكن مهما يكن من أمر وفادة عبيد الله المهدي وتكريمه في البداية

والتضييق عليه فيما بعد بوضعه في سجن انفرادي عرف بالمطبق وتعريض أتباعه للتعذيب، فإنَّ وصول الجيوش الفاطمية إلى مشارف سجلماسة لتحريره أصبحت حقيقة واقعة، فكان أبو عبد الله الشيعي يجد في السير نحوها ليرغم أميرها على الخضوع مما ترتب عليه إحكام السيطرة على المدينة وهروب الأمير اليسع بن مدرار ورجاله ليلاً في مجاهل الصحراء وتم تحرير عبيد الله المهدي وأصبحت سجلماسة في إطار النفوذ الفاطمي(٤٥).

ومهما يكن من أمر قيام الدولة الفاطمية، بعد أن وطّد أبو عبد الله الشيعي نفوذها في نفوس المغاربة سواء في مدينة سجلماسة أو في مدينة رقادة فإنَّ المغرب شهد وضعاً سياسياً جديداً، اختزل عدداً من الإمارات والدول، بكيان واحد على أنقاضها هي الدولة التي سعى إليها دعاة الفاطميين، فابن خلكان يذكر أن في رقادة والقيروان دعا لأبي محمد عبيد الله الملقب بالمهدي(٤٦)، فقال: " ودعا له بالخلافة على منابر رقادة والقيروان يوم الجمعة لتسع بقين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين بعد رجوعه من سجلماسة وما جرى له بها ما جرى "(٤٧). أما ابن عذارى فقد قال: " أخرج أبو عبد الله الشيعي، عبيد الله المهدي وابنه أبي القاسم، وكانا محبوسين في غرفة عند مريم بنت مدرار، فلما بصر به أبو عبد الله الشيعي، ترجّل له، وخضع بين يديه، وبكى من إفراط سروره به، ثم مشى أمامه راجلاً وسلّم إليه الأمر وقال لمن معه: " هذا هو مولاي ومولاكم، قد أنجز الله له وعده وأعطاه حقه وأظهر أمره "(٤٨).

ويمكن أن نفهم من عبارته: " وأنجز الله له وعده " أي بتحقيق حلمه في قيام دولة لها نفوذها ورجالها وميدانها. ثم يواصل ابن عذارى قوله: " وانتهب أبو عبد الله الشيعي ورجاله، سجلماسة، وأحرقت، وهرب منها اليسع صاحبها في جماعة من بني عمه ليلاً، فطلبه أبو عبد الله الشيعي فلم يقدر عليه "(٤٩) وهو لا يقرّ بأنَّ قيام الولاية لعبيد الله المهدي في مدينة سجلماسة، فلو أقرَّ ذلك لما سعى إلى حرق المدينة وإعفاء آثارها ونهبها مع رجاله.

ويوضح ابن عذارى في موضع آخر من كتابه، وصول عبيد الله المهدي إلى مدينة رقادة ومعه ابنه أبو القاسم ، ثم يصف استقبال أهل المدينة له، حينما وصل موكبه الذي كان يتقدمه أبو عبد الله الشيعي، والناس حوله " وبين يديه أقوام يسلّمون عليه، فنزل عبيد الله في القصر المعروف بالصحن ونزل ابنه بقصر أبي الفتح وتسمّى عبيد الله المهدي"(٥٠) وهي إشارة واضحة إلى قيام الدولة الفاطمية بالسلطتين الدينية والسياسية، حتى وضعت ديباجة إيمان قبيلة كتامة في أول دخولهم إفريقية تعظيماً وتشريفاً بعبيد الله المهدي : " وحق عالم الغيب والشهادة، مولانا المهدي الذي برقادة "(٥١).

ويروي مؤرخ مجهول رواية مشابهة إلى ما جاء عند المؤرخين قوله: " استنفر الداعي (أبو عبد الله الشيعي) قبائل كتامة ومن استجاب لدعوته وقصد سجلماسة فدخلها لحينه وفرَّ اليسع فقتلته

طائفة من رعيته، ووصل الداعي من فوره لدار بنت مدرار واستخرج عبيد الله من سجنه وقال لهم: هذا مولاي الإمام فهو مولاكم. قال له عبيد الله: قل لهم هو المهدي بن المهدي سلالة الهداية وسرّ من فورك واستخرج مولاك أبا القاسم من سجن عدو الله وعدو أوليائه، فنهض الداعي راجلاً واستخرج أبا القاسم بن عبيد الله وأركبه بغلة أخيه أبي العباس واستخرج أهل سجلماسة من مواطنهم وقال لهم: لا يحلُّ لكم أن تستوطنوا بلداً امتحن فيه الإمام، فلما خرجوا أمر بسلبهم ففتشوا كلهم رجالاً ونساءاً وأخذ أموالهم وصرفهم ثم دخل رقادة وبايع بها لعبيد الله المهدي وأقامه وأدخله القيروان وبنى المهدية "[٥٢].

أما الحميري فيقول في معرض حديثه عن مدينة سجلماسة: " وبسجلماسة كان قيام بالدعوة العبيدية وإخراج أبي عبد الله الشيعي، لعبيد الله المهدي من سجن اليسع بن مدرار"[٥٣]. ويمضي الحميري متنبئاً ومحققاً لأهل المغرب بوصول المهدي إلى ربوع الدولة المدرارية عن طريق مصر في عصر الخليفة العباسي المعتضد بالله سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م)[٥٤].

وينقل الحميري عن المؤرخين المتقدمين، مغالاة القول بالطعن في الدعوة الفاطمية ودعاتها، ويردد الأقوال فيقول: " إنه حينما دخل بهما رقادة (أي بعبيد الله المهدي وابنه) وبايع بها لعبيد الله ثم أدخله القيروان وبنى له المهدية " ثم يتقول عن ارتكاب عبيد الله المهدي الحرمات فأنكرت كتامة ذلك واتصلوا بأبي عبيد الله الداعي، فوافقهم على الإنكار والارتياب، ولما احتجوا لديه على حدِّ زعمه، أمر عبيد الله المهدي بقتل أبي عبد الله الداعي الشيعي وأخيه، وأمر بالكتب إلى الأمصار، إنَّ أبا عبد الله أحدث حدثاً فطهرناه بالسيف ولم تمنعنا رعاية الحق له من إقامة الحق عليه [٥٥].

وهكذا بلغت المغالاة المذهبية مذهباً في الطعون والاختلاف وبخاصة في بلاد المغرب، فكان المالكيون يطعنون بأهل العراق ويسمونهم " الحنفية " يعارضون الحضور في مجالسهم[٥٦]، كما كانوا يطعنون في أنساب بعضهم، فقد أورد الحميري، أن الصولي كان يزعم أن جدّ عبيد الله المهدي صلبه الخليفة العباسي المهدي على الزندقة، وقال ثم أثبت آخرون نسبه، وحينما مات عبيد الله بالمهدية سنة ٣٢٢هـ وولّى ولده أبو القاسم فأظهر مذهب أهل البيت نسبة إلى جعفر بن محمد الصادق وإلى علي بن أبي طالب عليهما السلام، ثم بدأ يعدّد إسقاطات يزعم أنها من مذهب أهل البيت[٥٧].

ويمكن القول إنَّ قيام الدولة الفاطمية أيام عبيد الله المهدي وفي زمن ولده أبي القاسم وحفيده إسماعيل المنصور بن أبي القاسم، قد شهدت توطداً وتوسعاً ونفوذاً في بلاد المغرب وذلك بعد الانتصار على الثورات والتمردات والحركات التي واجهتهم وآخرها ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد النكار الذي كان على مذهب الخوارج الصفزية سنة ٣٣٢هـ، وقد تم قمعها على يد إسماعيل المنصور بن أبي القاسم "ودانت للشيعي بلاد المغرب كلها وإفريقية "[٥٨].

ولعلَّ ما جاء عند ابن عذارى من التفصيلات حول اتخاذ الفاطميين مدينة رقادة مركزا وقاعدة لدولتهم، يكتسب أهمية في التاريخ اللاحق للفاطميين في بلاد المغرب، ففي هذه المدينة، اتخذ عبد الله المهدي جملة من الإجراءات بعد إقامته في قصر الصحن ومقابلته لوفود الفقهاء ووجوه أهل القيروان الذين دعوا له وهنئوه وأظهروا له السرور بأيامه وسألوه تجديد الأمان لهم(٥٩)، وقد أجابهم إلى ذلك بقوله: " أنتم آمنون في أنفسكم وذراريكم "(٦٠). وكان من أهم ما اتخذه لقب " المهدي أمير المؤمنين " واصطناع وجوه جديدة من رجاله بإسناد مناصب لهم في الدولة، مثل الإشراف على بيت المال وقضاء رقادة وديوان الكتابة وديوان الخراج والحجابة والتعيين على منطقة قابس وإثبات الموالي وأبناء العبيد في ديوان العطاء وضرب السكة(٦١).

غير أن أخطر قرار اتخذه عبيد الله المهدي كما تزعم المصادر هو تصفية أبي عبد الله الشيعي، قائده ومؤسس دولته، فقد عمد إلى تجريده من سلطاته وإبعاد رجاله عنه بالقضاء عليهم تدريجياً، ثم الإجهاز عليه واغتياله بخطة أعدّها مع بعض رجال كتامة(٦٢)

وزعمت المصادر إنَّ من بين الأسباب التي دفعت عبيد الله المهدي للتخلص من أقدر رجاله وأخلصهم له ما يشير إليها ابن خلدون، باتفاق أبي عبد الله وأخيه أحمد أبي العباس، على تحريض قبيلة كتامة وقبائل البربر ضده والطعن في خلافته سراً، ودعوة الناس لامتحانه وخلعه والقول إنه ليس هو الإمام المعصوم، فقال فيه المهدي إنه مفسد للهيبة " (٦٣).

ولكن أي من المصادر المعاصرة، لا تتحدث أو تشير حتى من طرف خفيّ إلى هذه الأسباب فاختلاف الرأي مع أبي عبد الله وموقف عبيد الله المهدي منه الذي وصل إلى حدِّ التصفية، مع ما كان لأبي عبد الله من مآثر في نشر الدعوة الفاطمية وإقامة دولتها، لا يرقى كحقيقة تاريخية رصينة، فلو قرأنا بإمعان كتاب النعمان أبي حنيفة المغربي " رسالة افتتاح الدعوة وابتداء الدولة " المتوفى سنة ٣٦٣هـ الذي شهد أحداث الدعوة منذ النصف الأخير من لقرن الثالث الهجري وتحديداً سنة ٢٩٧هـ حتى وفاته في الربع الأول من القرن الرابع الهجري لا نجد فيه أثراً لمتبنيات المصادر المتأخرة وتسقطها لإدعاءاتها حول مقتل أبي عبد الله وأخيه، سوى إننا نقرأ ما يفيد إلى تأكيد النعمان عبارة عبيد الله المهدي: " رحمك الله أبا عبد الله وجازاك في الآخرة "(٦٤) وقوله فيما اختلفت فيه بعض أذرع من كتامة في أبي عبد الله الشيعي من ثارات قديمة، فأوعزوا عبيد الله المهدي، ولكن بالتأكيد ليس إلى الحد الذي يفضي به إلى قتله على يده أو بواسطة آخرين. وإنَّ رسالة عبيد الله المهدي إلى الأمصار " وكتب إلى الشيعة بالمشرق في أمرهما "(٦٥) مثل أخبار الوضع التي سعى إليها المؤرخون والإخباريون عن الأفراد الأبطال التاريخيين وتبرير قوتهم وجبروتهم أو الحطِّ من شأنهم في نسبهم، ولم يكن عبيد

الله المهدي في وسط بيئة المغرب السادرة بالعنف المذهبي لا يسلم من قولات مؤرخي هذا العصر وكتّابه وإخباريه وهو المشرقي الذي غلب المغرب وأدان له[٦٦].

وهكذا فقد أثار مقتل أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس مشكلات بوجه الدولة الفاطمية الفتية، هي في غنى عنها في ظروفها الحرجة التي كانت تجتازها، إذ أظهرت بعض بطون كتامة الخلاف على عبيد الله المهدي[٦٧]، وقيام مجموعة من كبراء أهل القيروان بمعارضة سياسته ودبروا له مؤامرة لاغتياله ومنهم محمد بن أبي سعيد الميلي صاحب السوق وعبد الله بن محمد المعروف بابن النديم ومحمد بن أبي رجّال وأبي الوهب بن عمر بن زرارة العبدي[٦٨]، ثم ثورة أهل طرابلس وبعض عناصر من كتامة على عامل الفاطميين، فقد أغلقوا أبواب المدينة وقتلوا من بداخلها وقدّموا على أنفسهم محمد بن إسحق المعروف بابن القرنين، فأخرج المهدي جيشاً وحاربهم شهوراً وأوقع فيهم كما سار أبو القاسم بن عبيد الله إلى طرابلس سنة ٣٠٠هـ وقمع ثورتهم، بعد أن استطاع الثوار من حرق مراكب الفاطميين ولكنه انتصر عليهم في البر[٦٩].

المبحث الثاني/ محاولة الفاطميين اخماد الثورات

على الرغم من أن الفاطميين استطاعوا إخماد الثورات والفتن، ولكن عليهم أن يواجهوا احتمالات المستقبل المشحون بالأخطار ونذر الشرِّ ومصاعب الحروب الحقيقية، سواء في ميدان القتال ضد القبائل المعارضة في الفضاء المغربي برمته أو في الحواضر الكبرى، حيث كانت تضم فئات وعناصر معادية لإجراءاتهم ومخالفين لهم مذهبياً[٧٠].

ويذهب موسى لقبال، إلى أن التحول الذي شهدته الحركة الفاطمية من دعوة سرّية تمتلك أنصاراً ومتطوعين وحشداً من الدعاة التاريخيين، إلى نظام دولة تقليدية مستقرة، لها رئيس وموظفون رسميون وتقاليد ورسوم جديدة، إنَّ هذا التحول، فرض وضعاً جديداً لأنصار الدولة من البربر وبخاصة بربر كتامة وأدى إلى حدوث انشقاق خطير بين بناة الدولة وأخصّ رجالها وإلى تصدع في صلب عقيدتهم[٧١].

فإنَّ موضوع قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، متزامناً مع مقتل أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس، يثير تساؤلات أمام المؤرخين الذين يبحثون عن صناعة دراسات رصينة في التاريخ المغربي بحضور الحسّ النقدي والمنهجية العلميّة، واستعباد الأفكار المسبقة من دينية ومذهبية وقومية وغير ذلك، فحين كتب المؤرخون التقليديون المغاربة ابتداءاً من ابن عذارى[٧٢] والبكري[٧٣] والرقيق القيرواني[٧٤] والمراكشي[٧٥] وابن أيبك الداوداري[٧٦]وابن سعيد المغربي[٧٧] وابن خلدون[٧٨] وابن أبي دينار[٧٩] لم يتساءل أحد منهم، كيف يمكن تخوين أبي عبد الله الشيعي إمامة عبيد الله المهدي الذي قال عنه حينما حرره من سجن اليسع بن مدرار، ولما بصر به، ترجل له، وخضع بين

يديه وبكى من إفراط سروره ثم مشى أمامه راجلاً وسلّم إليه الأمر وقال لمن معه: " هذا هو مولاي ومولاكم " قد أنجز الله وعده وأعطاه حقه وأظهر أمره" .

في حين يتحدث هؤلاء المؤرخين، أن أبا عبد الله الشيعي كان يقول: " أخشى أن أكون قد غلطتُ بعبيد الله المهدي " وكان قد رآه وهو يخرجه من السجن، ثم يزعم المؤرخون أن عبيد الله المهدي كتب رسالة وبعثها إلى شيعة المشرق حول مقتل أبي عبد الله وأخيه، وفي هذا المجال يبدو من الضروري إعادة طبيعة هذه الرسالة وأسبابها التي يزعم المؤرخون أنه وجهها إلى الشيعة بالمشرق. ولا بُدَّ أن تكون هذه الرسالة قد دبّجت في القرون اللاحقة لقيام دولة الفاطميين في المغرب، لكن من هم أولئك الذين وجّهت إليهم الرسالة؟ من أولئك المخاطبون وفي أي بلد من بلدان العالم الإسلامي؟[٨٠].

لقد حرص واضعو الرسالة أن تكون بهذا الاختصار والربط بين موقف أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس من الإسلام! فهل ارتدا حينما استنزلهما الشيطان؟ فقتلهما؟ قد صوّر المؤرخون خروج أبي عبد الله وأخيه ليس خروجاً عن طاعة عبيد الله المهدي بل عن الإسلام، في حين يكفّر هؤلاء المؤرخين عبيد الله المهدي وداعيته أبي عبد الله بقولهم: **الجورُ قدْ رضينا لا الكفر والحماقة**

وقولهم: ومدحت الشعراء عبيد الله بالكفر فاستجازه[٨١].

وينبغي في هذا الصدد، أن نشير إلى قرينتين لإثبات عدم صدقية النصوص التاريخية التي جاء بها المؤرخون القدماء، ومدى التلفيق في حادثة مقتل أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس على يد عبيد الله المهدي، أولهما، خروج أبي العباس من رقادة في جموع لفك أسر عبيد الله المهدي من سجلماسة، وكان معه وجوه رجاله وأهل دعوته، وفيهم إبراهيم بن محمد الشيباني المعروف بأبي اليُسر الكاتب وزيادة ابن خلفون المتطيب مولى بني الأغلب وأحمد بن محمد ين سيرين الفقيه بمذهب أهل العراق. إذن كيف لنا أن نهمل جمهرة العلماء والفقهاء والقضاة، أولئك حينما شاهدوا عبيد الله المهدي وهو يخرج من السجن، وترجلوا أمامه، والزعم الذي جاء به المؤرخون هؤلاء على لسان أبي عبد الله الشيعي بأنه ليس هو الشخص الحقيقي لعبيد الله المهدي، فيما أقرَّ أمام هؤلاء العلماء والدعاة أنه هذا هو " إمامي وإمامكم " وفي رواية " مولاي ومولاكم "[٨٢] والقرينة الثانية أن أبا عبد الله الشيعي وأحيه، كانا دائماً في حضرة عبيد الله المهدي في مجلسه وطعامه " على جاري عادتهما " فإذا كان لدى أبي عبد الله شكوك في أمره، فإنَّ فرصته متاحة للخلاص منه.

وعلى أية حال، فلا يبدو من المستغرب، الإطاحة بأبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس، بمؤامرة حيكت من بعض عناصر كتامة، وهي القبيلة التي لا يمكن لعبيد الله المهدي التخلي عنها،

وفي الأقل أن مقتل قائده ومساعده ومكرّس سلطته ودولته، كان على مضض منه، وقد جاء عند النعمان أبو حنيفة المغربي الإشارة من طرف خفي إلى هذه المؤامرة(٨٣).

وهنا ما يمكن التأكيد عليه بين قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغربين الأوسط والأقصى وتأسيس مدينة " المهدية "(٨٤) فقد شرعوا في تأسيسها كعاصمة لهم واتخاذها " عدّة للشدى "(٨٥) ولكي " تعتصم بها الفواطم ساعة من نهار "(٨٦).

وكان عبيد الله المهدي قد بدأ النظر فيها سنة ٣٠٠هـ بغية استكمال مقومات دولته، وتم الانتقال إليها سنة ٣٠٨هـ(٨٧). وعندئذٍ قال: " أمنت اليوم على الفواطم "(٨٨).

ويشير ابن عذارى إلى أنه في سنة ٣٠٠هـ خرج عبيد الله المهدي من مدينة رقادة ماراً بتونس وقرطاجنة ونواحي البحر، يرتاد موضعاً ليتخذه دار مملكته، فوقع اختياره على جزيرة جمّة، فابتدأ بنيانها وهي التي تسمى " المهدية "(٨٩).

ومهما تكن البواعث لبناء عبيد الله المهدي، مدينة المهدية، يبقى ما أشار إليه البكري، يستأثر بالاهتمام، حول النوايا التي كان يتضمّرها أعداؤه له من قبيلة كتامة، يدلُّ عليه ثورة الكتاميين في مدينة القيروان(٩٠)، أما مدينة رقادة التي ولدت فيها بدايات الدولة الفاطمية، فيبدو أنها لا تصلح لتطلعات المستقبل الذي ربما يحمل بين ثناياه الحاجة إلى قاعدة عسكرية يمكن الاعتماد عليها في التوسع صوب مصر أو الأندلس " فاستكثر بها من العدّة والخزين "(٩١) أو الاحتماء بها من الغزاة والطامعين وجعلها موقع مواجهات قوية وصامدة أمامهم أو مركز انطلاق لإخماد الحركات والثورات التي يتوقع عبيد الله المهدي أن يقوم بها أنصاره بالأمس.

حرص الفاطميون بجعل عاصمتهم الجديدة، ميناءاً بحرياً عسكرياً وتجارياً ومما ترتب عليه اختيار موضعها في جزيرة متصلة بالبر " كصورة كف اتصلت بزند "(٩٢). والبحر قد أحاط بها من ثلاث جهات، وإنما يدخل إليها من الجانب الغربي(٩٣) الذي كان له بابان من الحديد لا خشب فيهما، وقد نقش عليها تخطيطات لرسوم الحيوانات(٩٤) لكي تغلقا فيحكم تحصينها ويصعب الدخول إليها.

أما مرسى السفن في المدينة فهو منقور في صخر يسع ثلاثين مركباً من المراكب القادمة من الإسكندرية وبلاد الشام وصقلية والأندلس ومن غيرها، وقد حصّن مرساها بسلسلة من الحديد ضد أساطيل البيزنطيين وجعل من المدخل الوحيد إلى المدينة ستة عشر برجاً للمراقبة والرصد، كما أقيمت دار الصناعة " صناعة السفن ورصيف ترسو فيه المراكب، يسع أكثر من مائتي مركباً، وفيها قبوان كبيران طويلان، يغطي المراكب الراسية أو الجاثمة وآلاتها فيقيها من الشمس والمطر(٩٥)، ولعلَّ ذلك يسمح لنا بالقول، إن هذه المظاهر التي يحرص الفاطميون على إنجازها، تدلُّ على متطلبات نمو دولتهم وظهورها.

أما الاستحكامات العسكرية، فيشير إليها ابن عذارى بقوله: إنَّ مدينة المهدية تبدو صعبة المنال، فلا يقربها الغازي والطامع، وفيها دار صناعة الإنشاء العجيبة، فلا يعلم به حتى يفجأ القاصد، فيحيط به فلا يقربها العدو لأجل ذلك "[٩٦].

فإنَّ الفاطميين، كورثة للأغالبة في القوة البحرية التي كانوا يمتلكونها، فلا غرو أن يمدّوا بأبصارهم إلى آفاق أبعد من مناطق نفوذهم، لتكون ضمن دولتهم التي يريدون لها مزيداً من التوسع والنفوذ سواء في مصر أو في الأندلس. ونعتقد أن الفاطميين فضلاً عن ذلك إنما كانوا يتطلعون إلى الحدِّ الذي يمكّنهم من القدرة على تصفية أنظمة الحكم المبثوثة في مناطق المغرب[٩٧] التي ما تزال في حلٍّ من سيطرتهم وما تزال تناصبهم العداء سياسياً ومذهبياً.

ولكن على الرغم مما كان يشغلهم في توسيع مناطق نفوذهم في بلاد المغرب كانوا يتطلعون على المدى البعيد إلى مصر والاستحواذ عليها، فعدّوا للأمر عدته باتخاذ عاصمتهم" المهدية" في شبه جزيرة قريباً من مدن تونس وسوسة[٩٨] وقفصة[٩٩]،

وصفاقس[١٠٠]، وهي مراكز تجارية بحرية مهمّة ترتبط بخطوط التجارة البحرية مع الإسكندرية، على أمل تحقيق أهدافهم التوسعية في مصر، وذلك بالاعتماد على أسطولهم من الناحيتين التجارية والعسكرية، فيذكر ابن عذارى أن أبا القاسم بن عبيد الله المهدي دخل بعساكره مدينة الإسكندرية (سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م) فألفاه خالية، قد هرب أهلها في البحر، بما خف من أموالهم وأسلموا سائر أثقالهم، فاحتوى أبو القاسم وحباسة القائد على جميع ذلك ووصل أبو القاسم إلى الفيّوم، فعسكر بها حتى قدم قائد الخليفة مؤنس الفتى من العراق لمحاربته "[١٠١] .

وعاد أبو القاسم بن عبيد الله المهدي غازياً مصر سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م في سفرته الثانية بعد أن حشّد من كتامة جُملاً كثيرة من عرب إفريقية وبربرها وخرج معه خليل بن إسحق[١٠٢] وأبو غانم الكاتب[١٠٣]، وغيرهما من رجال أبيه "[١٠٤]، وفي السنة التالية، قدم أبو القاسم ، سليمان بن كافي[١٠٥]، صاحب مقدمته إلى الإسكندرية في جملة من رجال كتامة وغيرهم، فوجد أهلها غافلين فلما أحسّوا بالخيل، وتلاحق بهم أبو القاسم بجيوشه، أخلوا المدينة وتركوها وانتهب أموالها وسبى الذريّة وجبى الخراج، وأقبلت العساكر من إفريقية يتلو بعضها بعضاً، فاجتمع إلى أبي القاسم عدد يحلّ عن الإحصاء إلى الفيوم فنزل بالأشمونين[١٠٦] وألغى الأطعمة في الأنادر لم تخزن فانتهبها العساكر وغلت الأسعار في مصر "[١٠٧].

وأغلب الظن أن غزوات أبي القاسم بن عبيد الله المهدي، إلى أرض مصر ومدنها الإسكندرية، والفيوم، والأشمونين، كانت تمهّد لانتقال الفاطميين إلى مصر وإرهاصاً بإقامة دولتهم في هذه البلاد.

وحينما ولي الدولة أبو تميم، المعز لدين الله، معد بن إسماعيل بن أبي القاسم بن عبيد الله المهدي، شهد الكيان الفاطمي، هذا التحول التاريخي فهو " أول من مَلَكَ مصر من بني عبيد "[١٠٨] وكان الأخشيديون هم ولاة لمصر نيابة عن الدولة العباسية، فلما توفى كافور الأخشيدي أمير مصر، بعث المعز لدين الله القائد أبا الحسن جوهر الصقلي[١٠٩] إلى مصر، على رأس جيش " فافتتحها يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من شعبان، وهرب أعيان الأخشيدية من مصر إلى الشام، قبل وصول جوهر، وأُقيمت الدعوة للمعز، يوم الجمعة الموفى عشرين لشعبان من سنة(٣٥٨هـ/٩٦٨م) في الجامع العتيق "[١١٠].

ولعلَّ من أهم الإجراءات التي اتخذها جوهر الصقلي، لتثبيت الحكم الفاطمي في مصر، هو إحداثه لمدينة القاهرة، المدينة العظمى التي تقع بجنب الفسطاط، وقد ذكر ياقوت، أن السبب في استحداثها، أن المعز، أنفذه في الجيوش من أرض إفريقية للاستيلاء على الديار المصرية في سنة ٣٥٨هـ، فسار في جيش كثيف حتى قدم مصر، وقد تمهّدت القواعد بمراسلات تقدمت، وذلك بعد موت كافور، فأطاعه أهل مصر واشترطوا عليه ألا يساكنهم، فدخل الفسطاط وهي مدينة الديار المصرية، فاشتقها بعساكره، ونزل تلقاء الشام بموضع القاهرة اليوم، وكان هذا الموضع تبرز إليه القوافل إلى الشام، وشرع فبنى فيه قصراً لمولاه المعز وبنى للجند حوله، واستمرت الحال إلى الآن على ذلك، فهي أطيب وأجل مدينة لاجتماع أسباب الخيرات والفضائل بها "[١١١].

ولما استقر سلطان الفاطميين في مصر، واتخذوها مقراً لخلافتهم، ساروا على طريقة العباسيين في الاعتماد على غير أبناء جنسهم، فصار جيشهم في عهد المعز يتألف من قبائل كتامة وزويلة، ومن الصقليّة[١١٢].

وظلَّ الحال على ذلك إلى أن ولي الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله الخلافة، فقرّب إليه الكتاميين في بداية عهده، ثم انحرف عنهم واعتمد في جيشه على الجنود الأتراك والسودانيين[١١٣].

قامت الدولة الفاطمية على أكتاف المغاربة ولاسيّما الكتاميين في مصر، وكانوا يدينون بعقائد المذهب الفاطمي وهم عصب الدولة الفاطمية وقوتها في مصر ومن زعمائهم أبو محمد أبو الحسن بن عمّار الذي ولاه الحاكم بأمر الله الوساطة وخلع عليه سنة ٣٨٦هـ ولقب بأمين الدولة، وبلغ نفوذه أن ألزم سائر الناس بالترجل له[١١٤]، وازداد المغاربة جرأة، فعاثوا فساداً في القاهرة ونهبوا المتاجر واشتبكوا مع الأتراك في بعض المعارك، وتطورت هذه المعارك إلى قتال بين الطرفين، وانتهى الأمر بهزيمة المغاربة[١١٥]، عندها ضعف نفوذ الكتاميين منذ ذلك الوقت حتى صاروا من جملة الرعية في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله بعد أن كانوا من أكابر الدولة[١١٦].

ثم استعان الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله بالسودانيين، الذين بدأ ظهورهم في مصر منذ أيام كافور الأخشيدي، جاءوا من الجنوب كجنود، ولم يسبق إلى استخدامهم في الجيش، وعندما استخدمهم الخليفة الحاكم بأمر الله هاجموا أعداء الفاطميين في أرجاء القاهرة واقتحموا بيوتها وحماماتها وهبوا أسواقها[١١٧]، ثم ازداد خطرهم على أمن الدولة في عهد الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله، فثاروا بتنيس سنة ٤١٥هـ مطالبين بأرزاقهم، فبعث إليهم الوزير الفاطمي نجيب الدولة علي بن أحمد الجرجرائي من قبض على الجناة، وأخضع ثورتهم[١١٨].

ثم ظهر أمر الأتراك في عهد الخليفة العزيز بعد أن استكثر منهم، وقرّبهم إليه، وأصبحوا من ذلك الوقت عنصراً مهماً في الجيش الفاطمي، كان يتولى قيادة الأتراك في أوائل عهد الخليفة المستنصر ناصر الدين الحسين بن حمدان الثعلبي، وقد ازداد نفوذهم في القاهرة بعد طرد السودانيين إلى الصعيد، لم يقنع ضد الأتراك بالرتبات التي قررها لهم الخليفة المستنصر، بل اكتفى في زيادة مخصصاتهم، ولما ظهر عجزه عن تلبية طلباتهم لقلة إيرادات الدولة ألزموهُ ببيع ذخائره، فأخرجها إليهم وقوموها على أنفسهم بأبخس الأثمان[١١٩].

المبحث الثالث/ قيام الدولة الفاطمية في مصر

أدّت هذه الأُمور إلى الفوضى والاضطرابات التي انتابت مصر وأدّت إلى مقتل ناصر الدولة بن حمدان، بعد أن ازداد نفوذه وأتباعهُ من الأتراك واستبدوا بالأُمور من دون الخليفة المستنصر حتى ضاق بهم ذرعاً واضطر سنة (٤٦٦هـ) أن يبعث إلى بدر الجمالي[١٢٠]، والي عكا يطلب منه القدوم ليتولى تدبير شؤون دولته وإصلاح ما فسد من أُمور مصر، فاشترط أن يحضر معه من يختارهُ من عساكر بلاد الشام ليستعيض بهم عن الجند الأتراك والمغاربة والسودانيين الموجودين بمصر، فوافق المستنصر على طلبه، وأتم بدر الجمالي إعداد عدّته للرحيل إلى مصر، أبحر من عكا ومعهُ كثير من الأرمن وغيرهم، غير مبالٍ بأخطار البحر في فصل الشتاء ونزل مع جنده بدمياط، ثم تابع سيره حتى صل قليوب، وهناك بعث إلى المستنصر يقول له إنه لن يدخل القاهرة إلاّ بعد قتل (بلدكوز)، أحد أُمراء الأتراك، فوافقه الخليفة على طلبه[١٢١]، واستطاع بدر الجمالي بعزمه ومهارته أن يعيد إلى البلاد المصرية ما كانت تتمتع به من رخاء قبل الشدة العظمى التي حلّت بها واستمرت سبع سنوات (٤٥٧هـ . ٤٦٤هـ) وانتهز بدر الجمالي فرصة استبداده على مقاليد الأُمور في أواخر عهد المستنصر بالله الفاطمي، وعهد لابنه الأفضل الاستيلاء على مقاليد الأُمور في الدولة، فلما توفى بدر الجمالي سنة (٤٨٧هـ) وهو في الثمانين من عمره، خلفه ابنه الأفضل شاهنشاه في الوزارة، وظل المستنصر الفاطمي في عهد وزارته كالمحجور عليه كان قد توفى سنة (٤٨٧هـ).

ثم حدثت الفتنة بين ولديه نزار والمستعلي بالله واستمرت إلى حين سيطرة المستعلي بالله وقيامه بالخلافة سنة (٤٩٠هـ) وتمسك طائفة من الفاطميين بإمامة نزار وأسسوا فرقة منشقة سميت بالنزارية[١٢٢].

وهكذا يمثل قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب وسيطرتها على مصر فيما بعد، منعطفاً ملحوظاً في التاريخ، حيث تبيّن أن المحاولات قد تكللت بالنجاح لحركتهم، بإقامة كيان دولة كبرى ذات رسوم وشيّدت حكماً يقوم على نظام الخلافة في المشرق منافساً لنظام الخلافة في بغداد[١٢٣]، إذ كان العباسيون ينظرون إلى محاولات الفاطميين، حينما زرعوا نفوذهم في المغرب ثم إقامة دولتهم هناك، على أنها تحدٍّ سافر لنفوذهم الروحي والسياسي، يجب وقفه ببعث روح جديدة بالأنظمة التي تدين لهم بالتبعية، فكانت دولة الأغالبة، وحثَّ رعاياهم هناك على الوقوف صفاً لقتال " عدو الله الخارج، الناجح بأطراف نواحي المغرب وأنصاره من بربر كتامة، أشياع الضلال وأوباش الجهّال والباغين في الفتن لتطرفهم وقسوتهم على غيرهم من المسلمين وإشاعتهم الفُرقة والانفصال في المنطقة"[١٢٤]. إنَّ هذه النداءات التي جهرت بها الخلافة العباسية باءت بالفشل، فقد أظهرت قوة الفاطميين ليس فقط بإمكانها الاستيلاء على بلاد المغربين الأوسط والأقصى، بل الهيمنة على البلاد المصرية، إذ تقدّمت جيوشهم نحو مدينة الإسكندرية من دون مقاومة ثم تسرّبت إلى مدينة الفسطاط وفرضت سيطرتها على المدينة، على الرغم من المقاومة التي أبداها الأخشيديون[١٢٥] وقطعوا الخطبة للعباسيين والدعوة للمعز لدين الله، وإزالة شعار العباسيين وجعل شعار الفاطميين على سكتهم بدار السكة[١٢٦].

ويمكن القول: إنَّ قيام دولة الفاطميين في مصر، الذي هو امتداد لقيامها في بلاد المغرب، اقترن بحركة علميّة وفكرية أرسى دعائمها الخلفاء الفاطميزن بتشجيعهم للعلماء والفقهاء والمحدثين والقرّاء والنحاة واللغويين والأُدباء، وأصحاب المواهب والكفاءات من المؤرخين والشعراء والمتصوفة، فقد اوجدوا مرتكزاتها في المهدية والقيروان ومن ثم بالقاهرة والفسطاط فشيدوا القصور والعمائر التي أصبحت ميداناً لتجمع العلماء والفقهاء، يتنافسون ويتفاخرون ويتطارحون في العلوم الدينية والغة والفقه والأدب وكانت المساجد بمثابة مراكز للعلماء والقضاة والوزراء، يحاضرون فيها الناس في العقائد والفقه ، فلا غرو أن يتحول " الجامع الأزهر " الذي كان في بدايته يقتصر على إقامة الدعوة للفاطميين والخطبة لهم، إلى جامعة تدرس فيها العلوم والآداب. وقد أشار الكاتب المجهول إلى بنائه فقال: " وكان الحاكم من بني عبيد، قد بنى بين الفسطاط والقاهرة، مسجداً عظيماً على ثلاثة مشاهد، كانت هناك، وجعل فيه سدنة وخدماً، يوقدون فيه السرج الليل كله "[١٢٧] كما ذكره الحميري بقوله: " وكان الحاكم بأمر الله منهم، بنى بين الفسطاط والقاهرة مسجداً عظيماً على ثلاثة مشاهد كانت هناك،

وجعل فيه سدنة وخدمة يوقدون فيه السرج الليل كله" [١٢٨]، كما دأب الفاطميون على تأسيس المكتبات وخزائن الكتب والمصنفات، وهي لعامة الناس، وألحقت في القصور مكتبات خاصة، حرصوا أن يستزيدوا في كتبها، ولعلَّ من أهم المكتبات التي أوجدها هي " مكتبة دار الحكمة " التي أُسست سنة (٣٩٥هـ/١٠٠٥) وألحق بها عدد من الشيوخ من العلماء والفقهاء والنحاة واللغويين والأطباء والمؤرخين[١٢٩] ومكتبة " دار العلوم " أو دار العلم التي أمدها الفاطميون بكثير من المؤلفات، وكانت متصلة بدار الحكمة، إذ تقام فيها المناظرات والمساجلات والمحاورات في العقائد والشرائع أو في مسائل العلوم العقلية[١٣٠].

وليس أدلُّ على هذا الإثراء الثقافي والعلمي والفكري من احتواء مكتبة القصر الذي اتخذه الخلفاء الفاطميون، لا يبالغ ابن تغري بردي، كثيراً بتقديرها بمليون مجلد[١٣١] فيما يقدرها عماد الدين الكاتب الأصفهاني، مبالغاً بمليوني كتاب ومجلد[١٣٢] مما يجعلها تفوق غيرها من مكتبات العالم الإسلامي، إذ ينقل أبو شامة عنها قوله: " إنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام، دار كتب أعظم من التي كانت في القاهرة في القصر ومن عجائبها أنه كان فيها ألف ومائتان وعشرون نسخة من كتاب الطبري، تاريخ الرسل والملوك "[١٣٣]. ويذكر المقريزي أن الكتب التي اشتملت عليها مكتبة المدرسة الفاضلية ، التي أسسها القاضي الفاضل عبد الرحيم بن على البياني سنة ٥٨٠هـ[١٣٤] الذي كان يشغل وظيفة صاحب ديوان الإنشاء أيام الخليفة الفاطمي، الحافظ أبي الميمون بن عبد المجيد بن محمد (٥٢٤- ٥٤٤هـ/١٠٣٠-١٠٤٩م) يقدرها بمائة ألف مجلد، نقلت إليها من مكتبة القصر أثر سقوط الدولة الفاطمية[١٣٥].

والظاهر، إنَّ مكتبات الفاطميين، كانت تنفرد، باقتناء كتب لم يكن لها وجود في مكتبات العالم الإسلامي، مثل قرطبة، دمشق، بغداد أو أي مركز حضاري آخر، فكان الفاطميون يتوفرون على نسخها بأعداد كبيرة ويخلقون الاهتمام بها لدى الناس كافة سواء في بلاد المغرب أو في مصر.

وعُني الفاطميون، منذ وطأت دولتهم أرض مصر، بالعلوم الإسلامية مثل علم التفسير والقراءات والحديث والفقه وعلم الكلام وعلوم العربية مثل النحو واللغة والبيان والأدب، فضلاً عن العلوم النقلية والعقلية والحكمة الفلسفية التي كان يطلق عليها علوم الأوائل والعلوم الدخيلة مثل علم الهندسة والرياضيات والنجوم والموسيقى والكيمياء والعلوم الطبيعية والإنسانية، كما قدّموا علم الطب واستقدموا الأطباء، يذكر ابن العبري: " من الأطباء المتقدمين بالديار المصرية منصور بن مقشر أبو الفتح المصري النصراني " الذي كانت له منزلة سامية من أصحاب القصر سيّما في أيام الخليفة الفاطمي العزيز أبو منصور نزار (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م)، فقد كتب الخليفة إليه تقديراً بشأنه: " بسم الله الرحمن الرحيم طبيبنا سلّمه الله سلام الله الطيّب وأتم النعمة عليه، وصلت إلينا البشارة بما

وهبه الله من عافية الطبيب وبرئه والله العظيم لقد عدل علينا ما رزقناه نحن من الصحة في جسمنا. أقالك الله العثرة وأعادك إلى أفضل ما عوّدك من صحة الجسم وطيبة النفس وخفض العيش بحوله وقواه، كما خدم هذا الطبيب، ابنه الخليفة الحاكم بأمر الله أبو علي المنصور(٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٢٢٠م)[١٣٦].

ولا شك في أن نشر المذهب الإسماعيلي الفاطمي، قد ترافق مع قيام دولتهم في بلاد المغرب، وأخذ مداه الواسع في البلاد المصرية، لذلك استلزم عليهم تبصير المغاربة والمصريين بفقهه وآرائه وعقائده، فكان له دعاتهُ وشيوخه ومنظريه أنشأوا الجامع الأزهر وغيره من الجوامع والمساجد، وقرّبوا الشعراء والأُدباء وتمكينهم من بلاطاتهم للإشادة بمجدهم، وكانوا يفعلون ذلك لكي يحاكي شعراؤهم الشعراء العباسيين، فضلاً عن تشجيع العلوم الأُخرى في الدولة الجديدة، وقدمت العلم والأدب والفن في مصر والشام خطوات؛ حتى لا يعدُّ شيئاً بجانبها، مما كان في العهد الطولوني والأخشيدي، ويصح أن تقارن وتتساوى مما كان في العراق وخاصة العلوم العقلية والفلسفية فإنها نبغت فيها[١٣٧]، لتزدهر القاهرة حاضرة الفاطميين بعد أن تولى المعز شؤون مملكته الجديدة بنفسه، واستبقى جوهراً في قيادة الجيش[١٣٨].

وفي صفر سنة (٣٦٥هـ/٩٧٥م) في عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، جلس قاضي القضاة أبو الحسن علي بن النعمان التميمي بالجامع الأزهر، وقرأ مختصر أبيه القاضي أبو حنيفة النعمان في فقه آل البيت وهو المسمى بكتاب الاقتصار في جمع من العلماء، وأثبتت أسماء الحاضرين، فكانت هذه أول حلقة للدرس في الجامع الأزهر[١٣٩]، وبدأ الأزهر في القيام برسالته العلمية إلى جانب رسالته الدينية، ثم أنشأت دار الحكمة الفاطمية، عهد بالإشراف عليها إلى زعيم ديني خاص يلي قاضي القضاة في الرتبة ويسمى داعي الدعاة[١٤٠].

بينما استمر الجامع الأزهر مركزاً للثقافة الدينية المحضة، إذا بدار الحكمة تعنى إلى جانب مهمتها في نشر علوم آل البيت القيام بتدريس اللغة والطب والرياضيات والمنطق والفلسفة وما إليها[١٤١].

وكذلك كان الأزهر عنصراً مهماً من عناصر الحركة الفكرية، وكانت تعقد فيه إلى جانب الحلقات الدراسية مجالس الحكمة للنساء[١٤٢]، كتشجيع الفاطميين للعلماء والكتّاب منذ بداية مجيئهم إلى المغرب وبناء دولتهم إلى دخولهم مصر، الأثر الكبير في ظهور طائفة كبيرة منهم في المغرب ومصر، ومشاركتهم في تأليف الكتب ويُعدُّ الخليفة المعز لدين الله مشاركاً للقاضي النعمان في تأليفه الكتب، فهو الذي شجعهُ على البحث في أصول العقيدة الفاطمية وأخرج إليه من كتب، ويذكر النعمان: " وأمرني المعز لدين الله بجمع أخيار الدولة في كتاب ومناقب بني هاشم ومثالب عبد شمس

في كتاب ففعلتُ وجمعتُ من كل فن من هذين الفنيين كتاباً ضخماً جامعاً يجتمع على أجزاء كثيرة على ما رتبه لي وأفاد دينه، ورفعتهما إليه فاستحسنهما وارتضاهما واستجاد معناهما)[١٤٣].

واشتهر من المؤرخين في العصر الفاطمي، أبو الحسن علي بن محمد الشابشتي الذي اتصل بخدمة الخليفة العزيز بأمر الله، فولاهُ خزانة الكتب، وتوفي سنة (٣٨٨هـ/٩٩٨م) في أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي، ومن مصنفاته كتاب الديارات أورد فيه أخبار كثيرة من الأديرة في مصر[١٤٤]، وابن زولاق المصري الحسن بن إبراهيم الليثي المؤرخ (٣٩٦هـ/٩١٩م . ٤٨٣هـ/٩٩٧م)[١٤٥]، وعبد الغني المصري(٣٣٢هـ . ٤٠٩هـ)وكان حافظ مصر في عصره[١٤٦]، والحسن بن الحسن بن الهيثم عالم البصريات والفيلسوف نزيل مصر(ت ٤٣٠هـ)[١٤٧]، وابن يونس بن عبد الأعلى كان منجماً معنياً بالرصد، وله شعر ، توفي سنة (٣٩٩هـ/١٠١١م)[١٤٨]، والمسيحي المصري الكاتب(٣٦٦ـ ٤٢٠هـ)[١٤٩]، وهو من أعلام الفكر والأدب واسمهُ عز الملك بن عبد الله بن أحمد الحرائي، وكان من أقطاب العلماء والأُمراء تولى الوزارة للخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي ونال حظوة لديه وشغف المسيحي بتدوين التاريخ وألف فيه كتب منها تاريخه الكبير المسمى (أخبار مصر) وهو أثر ضخم يتناول تاريخ مصر وما بها من الأبنية والعجائب حتى أوائل القرن الخامس الهجري والتي وصلت عن المقريزي وغيره[١٥٠].

وحقيقةً إن هؤلاء العلماء حملوا معهم مشاعل المعرفة والثقافة التي تزودوا بها في الأزهر فأضاءوا الأرض علماً ونوراً بإلقاء ثمرات قرائحهم على تلاميذهم في حلقات الأزهر العلمية التي كانت النساء يحضرن فيها[١٥١].

فكان على داعي الدعاة أن ينظم باستمرار مجالس الدعوة، فيخصص يوم الأحد للرجال، ويوم الأربعاء للنساء، ويوم الثلاثاء للأشراف وذوو الأقدار[١٥٢]. وكانت الدعوة تقرأ في الجامع الأزهر، وهو أول مكان للدعوة أنشأه الفاطميون بعد دخولهم مصر سنة (٣٥٩هـ/٩٦٩م) وثم بناؤه في عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله في رمضان سنة (٣٦١هـ/٩٧٣م)[١٥٣].

الخاتمة

ان قيام الدولة الفاطمية سياسيا في بلاد المغرب رغم المعارضة الكبيرة لدولتهم ، والثورات التي قامت عليهم وخاصة ثورة ابو يزيد بن كيدار النكار المسمى (صاحب الحمار) والذي كان على مذهب الصفرية ، بعد ان استقر سلطان الفاطميين في المغرب لم تغب مصر عن طموحاتهم ولقد فتحت الباب نحو مصر وبخاصة عندما ولي امر الدولة الفاطمية ابو تميم المعز لدين الله وهو اول من ملك مصر من بني عبيد ، وكان الاخشيديون هم ولاة مصر نيابة عن الدولة العباسية التي حاضرتها بغداد، فلما توفي كافور الاخشدي امير مصر ، بعث المعزلدين الله الفاطمي ، القائد جوهر الصقلي

دخول مصر واسس لبناء مدينة القاهرة وكذلك الجامع الازهر وكان هذا الجامع يدرس العقيدة الفاطمية في اول نشاته ثم توسع وشمل المذاهب الاسلامية الاخرى كذلك حاضره به العديد من القضاة ورجال العلم ، وبعد قيام الدولة الفاطمية واستقرار سلطانها تذكر المصادر التاريخية ترك الفاطمين بلاد المغرب بعد ان ظل تحت سيطرتهم ردحا من الزمن .

الهوامش ;

(١) يذهب البعض إلى أن لفظ الفاطميين الذي عرف به أولاد عبيد الله المهدي، رأس الدعوة في بلاد المغرب الأوسط، جاء بكونهم أولاد فاطمة الزهراء بنت النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، فهم فاطميون، وإن نسب هذه الأسرة، كانت ولا تزال موضوعاً كثرت فيه آراء المؤرخين والكتّاب، الأقدمين منهم والمحدثين على السواء(حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية (القاهرة . ١٩٥٨م) ص ٥٧-٧٩). كما عرفوا بالعبيديين، نسبةً إلى عبيد الله المهدي (أبو عبد الله محمد بن علي بن حمّاد(ت ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم(تحقيق ودراسة: التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر، القاهرة . ١٩٨٠م).

(٢) مدينة في بلاد الشام بين حملة ورفيّنة(ياقوت، شهاب الدين أبي عبد الله بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي(ت ٦٢٦هـ) معجم البلدان(تقديم: عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت . ١٩٩٦م) ،٣/ ٦١-٦٢) وسلمية بلد من أعمال قنسرين بثغور الشام على طرف البادية وهو حصن كالمدينة صغير عامر آهل بينه وبين حمص مرحلة(الحميري، محمد بن عبد المنعم(ت ٩٠٠هـ) الروض المعطار في خبر الأقطار(تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت ط٢ . ١٩٨٩م) ص ٣٢٠.

(٣) ترجمته في: ابن خلكان أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٦٨١هـ) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان(إعداد: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ط١ . ١٩٩٨م) ،٣/ ٢١٥.

(٤) ترجمته في: ابن شاكر الكتبي، محمد بن شاكر(ت ٧٦٤هـ) فوات الوفيات والذيل عليها(تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت) ،١/ ١٩٥.

(٥) من جبال البربر بالمغرب قرب تلمسان وفاس (ياقوت، معجم البلدان ،١/ ٤٢٥، ويسميها الحميري " تادلى " من بلاد المغرب، مدينة قديمة أزلية فيها آثار للأول (الروض المعطار في خبر الأقطار ص ١٢٧).

(٦) قرية بإفريقية لهوارة قبيلة من البربر(ياقوت، معجم البلدان ،٧/ ٢٥١، ويسميها الحميري "مرمجنة" بإفريقية قريب من الأربس وبينها وبين مجانة مرحلتان (الروض المعطار ص٥٤٠).

(٧) مدينة وكورة بإفريقية (ياقوت الحموي، معجم البلدان ،١/ ١١٥؛ قال الحميري: مدينة بينها وبين قيروان إفريقية مسيرة ثلاثة أيام وبينها وبين باجة مرحلتان (الروض المعطار ص ٢٤).

(٨) مدينة بإفريقية من أعمال الزاب الكبير وأصلها شراة إباضية ووهبية متمردون(ياقوت، معجم البلدان ، ٨ / ٣٩٦، وعند الحميري: في قصطيلية من بلاد الجرير في إقليم إفريقية(الروض المعطار ص ٥٧٨).

(٩) قرية بقرب مجانة المطاحن عند نهر ملاق وبقرب باغاية، وهي مدينة عامرة قديمة أزلية بها زروع ومكاسب وهي أكبر من مرماجنة(الحميري، الروض المعطار ص ٥٥٨).

١٠

(١٠) وهو موضع وناحية من أعمال إفريقية ثم من أعمال القيروان وهي في قول الشاعر ذي الرمّة:

نظرتُ بجرعاء السبيبة نظرةً ضحى وسوادُ العينِ في الماس غامس

(ياقوت، معجم البلدان ،٥/ ٢٠، قال عنها الحميري: من القيروان إلى وادي الرمل أربعون ميلاً ومنها إلى سبيبة وهي مدينة أولية ذات أنهار وثمار(الروض المعطار ص ٣٠٤).

(١٢) مدينة كبيرة في أقصى إفريقية بين مجانة وقسنطينة الهواء(ياقوت، معجم البلدان ،٢/ ٢٥٩؛ وهي عند الحميري: مدينة بإفريقية أولية جليلة بقرب مسكيانة(الروض المعطار ص ٧٦-٧٧).

(١٣) وقد أشار إلى هذه الفكرة: موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الدولة الفاطمية(الجزائر ١٩٧٩م) ص ١٩٨.

(١٤) دور كتامة في قيام الدولة الفاطمية ص ١٩٩.

(١٥) عرفوا أنفسهم بواسطة الدعاة، بأنهم أعقاب إسماعيل بن جعفر الصادق . سادس الأئمة الأثنى عشرية ، كما عرفوا بالإسماعيليين وسموا بالسبعية والتعليمية والباطنية، إذ قالوا: بالتأويل أي لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلاً فالسبعية لقولهم، إنَّ أدوار الإمامة سبعة والانتهاء إليه هو آخر الدور وإن تدبير العالم السفلي منوط بالكواكب السبعة، أما التعليمية فلأن مذهبهم دعوة الخلق إلى التعلم من الإمام المعصوم وإبطال ما سواه واستخدام العقل، والباطنية من يعتقدون أن لكل نص باطناً يدركه الخاصة من الناس بطريق التأويل وهؤلاء يسقط عنهم التكليف بخلاف الجهّال(أبو حامد الغزالي، محمد بنمحمد (ت ٥٠٥هـ) فضائح الباطنية (القاهرة ١٩٦٤م) ص ١١-١٧؛ موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الدولة الفاطمية ص ٢٠٣ هامش رقم (٤١).

(١٦) عبيد الله بن المهدي بن محمد بن حبيب الذي ولد في سلمية وقيل بالكوفة، وهو آخر الأئمة المستورين(ابن خلكان، وفيات الأعيان ،١/ ٢٧٢) وهم المستورون في ذات الله (الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم(ت ٥٤٨هـ) الملل والنحل، دار المعرفة، بيروت . ٢٠٠١م) ،٢/ ٥؛ ابن أيبك الداوداري، أبو بكر محمد بن عبد الله(ت ٧٣٦هـ) الدرّة المضيّة في أخبار الدولة الفاطمية (كتاب كنز الدرر وجامع الغرر(القاهرة . ١٩٧٢م) ،٤/٦.

(١٧) ولعلَّ من بين هذه الإمارات (إمارة هاز) قرب مدينة المسيلة وكان يسيطر عليها الحسن بن سليمان بن الحسين بن علي، و(منطقة متيّجة) قرب مدينة فررونة وهي مركز لبني محمد بن جعفر الحسني، وحوض الشلف الذي يشقه نهر شلف أكبر الأنهار في المغرب الأوسط، إذ توجد فيه مدن ومراكز عدّة ومدينة سوق إبراهيم يسيطر عليها فرع علوي من بني الحسن ومنهم إبراهيم بن محمد بن سليمان بن عبد

الله، وإمارة " ثمطلاس " في مضارب قبيلة مطماطة البربرية، وإمارة "إيرزرج " وحاكمها إبراهيم بن محمد البربري المعتزلي، ثم دار مملكة " زناتة " ومدينة حمزة(البويرة) نسبت إلى حمزة بن الحسن بن سليمان، ومدينة تنس قرب البحر لبني محمد بن محمد بن سليمان، وغيرها من الإمارات (البكري، أبو عبيد، عبد الله ابن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (الطبعة الأوروبية . ١٨٥٧م) ص ٦٣-٨٨؛ موسى لقبال، دور كتامة ص ٢٠٩-٢١٣.

(١٨) يذكر المؤرخون، إنه لما اتصل بقائد الدعوة عبيد الله المهدي في سلمية، وجد فيه الذكاء والنشاط، فضمّه إلى سلك دعاته، ثم أرسله إلى مركز تكوين الدعاة الماهرين في بلاد اليمن، إذ يوجد هناك كبير دعاتهم منصور اليمن الذي رحّب به وأوضح له أن أرض كتامة من المغرب، موطأة ممهدة لك " ثم أرسله مع مساعد له حتى أرض كتامة(النعمان، أبو حنيفة المغربي (ت ٣٦٣هـ) رسالة افتتاح الدعوة وابتداء الدولة(بيروت . ١٩٧٠م) ص ٢٧؛ النويري، أحمد بن عبد الوهاب(ت ٧٣٢هـ) نهاية الأرب في فنون الأدب (القاهرة . ١٩٢٣م) ،٢٦/ ٢٥.

(١٩) المراكشي أبو عبد الله محمد(ت ٦٩٥هـ) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (دار الثقافة . ١٩٢٩) ،٣/ ٣١١.

(٢٠) موسى لقبال، دور كتامة ص ١٢٤-١٢٥.

(٢١) ابن عذارى، البيان المغرب ،٣/ ٣٢٢.

(٢٢) أبو حنيفة النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، ص ٣٩.

(٢٣) اتعاظ الحنفا، ٦٨/١.

(٢٤) قامت دولة الأغالبة بإرادة العباسيين، فقد استحصل إبراهيم بن الأغلب بن سالم التميمي وهو أحد قادة الجيش العباسي في عهد الخليفة هارون الرشيد وموافقته بتثبيته في ولاية إفريقية (تونس) (سنة ١٨٤هـ/٨٠٠م) ومن ثم الإقرار له بتأسيس إمارة تدين بالولاء السياسي والتبعية الاسمية للخلافة العباسية، واتخاذ القيروان حاضرة لولايته (١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٨).

(٢٥) جبل بين سطيف وقسنطينة فيه قبائل كتامة وبه حصن حصين ومعقل منيع، وتمتد عمارة كتامة بهذه الأرض إلى أن تجاور أرض القل وبونة، وفيهم كرم وبذل طعام لقاصدهم وهم أكرم الرجال للأضياف حتى استسهلوا مع ذلك بذل أولادهم للأضياف فلا يرون بذلك عاراً وبالغت الملوك في عقوبتهم على ذلك فما انتقلوا عنه ولا امتنعوا عن عادتهم وقد فنوا وكانوا قبل هذا أعداداً لا تحصى(الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٧١-٧٢).

(٢٦) النعمان، افتتاح الدعوة ،٤٢/ ٧٩-٨٠.

(٢٧) لسان الدين بن الخطيب محمد(ت ٧٧٦هـ) أعمال الأعلام (دار الكتاب، الدار البيضاء . ١٩٦٤م) ، ٣ / ص ٣٨-٣٩.

(٢٨) وهي قرية كبيرة جداً من أكثر بلاد الله قصب سكر، وهذا البلد أخصب بلاد المغرب، مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار(نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد، دار النشر المغربية) ص ٢١١-٢١٢.

(٢٩) مدينة صغيرة بأقصى إفريقية بينها وبين بجاية ثلاثة أيام (ياقوت، معجم البلدان ،٨/ ٣٥٦، وعنها قال الحميري: مدينة على أربع مراحل من قلعة حمّاد وفي سنة ثمان وسبعين وثلثمائة خرج المنصور العبيدي أو غيره غازياً لكتامة(الروض المعطار ص ٥٦٨-٥٦٩).

(٣٠) دور كتامة في تاريخ الدولة الفاطمية ص ٢٦٣.

(*) ويلفظها الحميري: " كيانة وهو جبل بمقربة المسيلة في البلاد الإفريقية وفي قلعتها كانت معركة بين مخلد بن كيداد الخارج على الفاطميين (الروض المعطار ص ٥٠٤).

(٣١) تمثل دولة بني مدرار (١٤٠-٣٥٤هـ/٧٥٧-٩٦٥م) نفوذ الخوارج الصفريين في المغرب الأقصى(ابن خلكان، وفيات الأعيان ،١/ ٣١٩-٣٢٠؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ) ،١٠٥/١؛ العيني، محمود بن أحمد (ت ٨٥٥هـ) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (القاهرة . ١٩٣٩م) ،٤٦٤/١١.

(٣٢) مدينة في جبال كتامة بين تاهرت والقيروان من أرض البربر ببلاد المغرب، ومنها خرج أبو عبد الله الشيعي داعية عبيد الله المسمى بالمهدي(ياقوت، معجم البلدان ،٥/ ٤٦)، وعنها قال الحميري: " مدينة أو حصن، بينها وبين ميلة مرحلة، وهي قديمة أزلية كثيرة الخلق كالمدينة وكان عليها سور صخر عظيم قديم خربته كتامة مع أبي عبد الله الشيعي(الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٣١٨).

(٣٣) وهي حصن أولي بمقربة من بلد قسنطينة وبينهما يومان، وهي حصن لطيف وفي أهله عزّة ومنعة وله ربض وسوق وآبار طيبة الماء وهو في بساط من الأرض كثير المزارع والقرى (الحميري، الروض المعطار ص ١٠٣).

(٣٤) بلد قديم من نواحي إفريقية، وقيل اسمها قرطا وأضيف إليها جنة لطيبها ونزهتها وحسنها (ياقوت، معجم البلدان ،٧ / ٣١، وفي الحميري: " قرطاجنة أفريقية وهي أجلّها وأشرها، مما في الأندلس وبين قرطاجنة وتونس عشرة أميال أو نحوها ومرساهما واحد وقرطاجنة من المدن المشهورة وفيها من الآثار وعجائب البنيان ما ليس في بلد شرقاً ولا غرباً(الروض المعطار ص ٤٦٢-٤٦٥).

(٣٥) بلد مشهور من أرض إفريقية بينه وبين قفصة ست مراحل في قفر سبيبة، وهو بلد قديم به آثار الملوك، وقد خرب الآن أكثرها(ياقوت، معجم البلدان ،٢ / ٤٣١)، وعنها يقول الحميري: "هي تبسا، من بلاد إفريقية بقرب وادي ملاق مدينة قديمة أولية فيها آثار كثيرة للأول ومبانٍ عجيبة ما بإفريقية بعد قرطاجنة أعظم منها وبها دار ملعب قد تهدم (الروض المعطار ص ١٢٩-١٣٠).

(٣٦) عند الحميري: " القصر القديم: عند القيروان أسسه إبراهيم بن الأغلب سنة أربع وثمانين ومائتين وصار دار أُمراء بني الأغلب وهو في قبلة القيروان وعلى ثلاثة أميال منها(الروض المعطار ص ٤٧٦).

(٣٧) في قبلة لقيروان على مسافة يومين منها: وهو قطر واسع فيه مدن وحصون والمدينة العظمى القديمة يقال لها سبيطلة(الحميري، الروض المعطار ص ٤٧٢).

(٣٨) مدينة وقلعة يقال لها قسنطينة الهواء وهي قلعة كبيرة جداً حصينة عالية(ياقوت، معجم البلدان ، ٧ / ٥١). وعنها قال الحميري: " من مشاهير بلاد إفريقية بين تيجس وميلة وهي مدينة أولية كبيرة آهلة فيها آثار للأول (الروض المعطار ص ٤٨٠).

(٣٩) بمقربة من تيفاش بقرب وادي الدنانير عند قصر الإفريقي، وهي مدينة أولية شامخة البناء وفي أيام محمد بن أحمد بن الأغلب المعروف بأبي الغرانيق صاحب القيروان كانت وقيعة تيجس، إذ قتل البربر والي الأغالبة محمد بن سالم بن غلبون فأمر الأمير بقتل البربر(الحميري، الروض المعطار ص ١٤٦).

(٤٠) اسم البلد وهو عجمي، بلدة صغيرة في طرف إفريقية من ناحية المغرب من عمل الزاب الكبير بالجرير بينها وبين القيروان ثلاثة أيام (ياقوت، معجم البلدان ،٧ / ٧٧، وهي مدينة من البلاد الجريرية على حد قول الحميري، بينها وبين نقيوس مرحلة وهي كبيرة قديمة أزلية (الروض المعطار ص ٤٧٧).

(٤١) بلدة كانت بإفريقية بينها وبين القيروان أربعة أميال وإن اسمها جاء أن أحد بني الأغلب أرمد وشرد عنه النوم فعولج بالمشي إلى موضع رقادة فنام فسميت رقادة يومئذٍ (ياقوت، معجم البلدان ،٤ / ٤١١-٤١٢) وعنها قال الحميري: على أربعة أميال من قيروان إفريقية وكانت مدينة كبيرة، أمر الملك بالخروج والتنزه والمشي فلما وصل إلى موضع رقادة نام فسميت رقادة من يؤمئذٍ(الروض المعطار ص ٢٧١).

(٤٢) ابن الأثير، عز الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم(ت ٦٣٠هـ) الكامل في التاريخ(بيروت ١٩٦٦م) ، ٨/ ١٤؛ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر ،٤ / ٧٠.

(٤٣) مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان بينها وبين فاس عشرة أيام (ياقوت، معجم البلدان ، ٥ / ٢٥؛ وقال عنها الحميري: من أعظم مدن المغرب وهي على طرف الصحراء وبينها وبين غانة في الصحراء مسيرة شهرين، وهي محدثة بنيت سنة أربعين ومائة أسسها مدرار بن عبد الله(الروض المعطار ص ٣٠٥-٣٠٧).

(٤٤) ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان ،٣ / ٩٨؛ ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ١ / ١٥٦، ١٥٧.

(٤٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ٣ / ٩٨.

(٤٦) ترجمته في: النعمان، افتتاح الدعوة، صفحات متفرقة؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ٨/ ٢٨٤؛ ابن عذارى، البيان المغرب ، ١ / ١٥٨؛ ابن أيبك الداوداري، الدرّة المضيّة في تاريخ الدولة الفاطمية ص ١٠٨؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر ، ٢ / ١٩٢؛ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر ص ٧٠، ٤٣٧؛ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي(ت ٨٤٥هـ) اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الخلفا(القاهرة . ١٩٤٨م) ص ٦٠.

(٤٧) وفيات الأعيان ، ٣ / ٩٩.

(٤٨) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،١ / ١٥٣.

(٤٩) البيان المغرب ، ١/ ١٥٣.

(٥٠) البيان المغرب ، ١/ ١٥٨.

(٥١) البيان المغرب ، ١/ ١٦٠.

(٥٢) كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار (نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد) ص ٢٠٤.

(٥٣) الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٣٠٦.

(٥٤) وكان الخليفة المعتضد بالله قد أنفذ خطابه إلى صاحب مصر في طلب عبيد الله المهدي والقبض عليه، فلما خرج هذا الأخير ووصل إلى المغرب أمروا صاحب سجلماسة وكان موالياً للعباسيين، بقبضه، ففعل وأودعه السجن في قرية بلقرب من سجلماسة، فخاطب من السجن أبا عبد الله الداعي فأعلمه بحاله فاستنفر الداعي كتامة ومن استجاب لدعوته وقصد سجلماسة، ووصل الداعي إلى عبيد الله فاستخرجه من سجنه وأخرج ولده وأدخلهما رقادة (الروض المعطار ص ٣٠٦-٣٠٧).

(٥٥) الروض المعطار ص ٣٠٧.

(٥٦) قال أبو زيد الدباغ عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ (ت ٦٩٦هـ) يتحدث عن يحيى بن عمر بن يوسف بن عامر الكناني الأندلسي الفقيه والقاضي(ت ٢٨٩هـ) من أهل القيروان وهو في مجلسه قال: " وحضر يوماً مجلسه رجل من أهل العراق فقال يحيى: " من كان ها هنا من أهل العراق فليقم عنا " معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان تعليق وتصحيح: إبراهيم شبوح (مكتبة الخانجي بمصر ١٩٦٨م ط٢ مطبعة السُّنّة المحمدية) ، ٢ / ٢٤٠.

(٥٧) الروض المعطار ص ٣٠٧.

(٥٨) الحميري، الروض المعطار ص ٣٠٧.

(٥٩) البيان المغرب ، ١/ ١٥٨.

(٦٠) البيان المغرب ، ١/ ١٥٩.

(٦١) استحجب أبا الفضل جعفر بن علي وأبا أحمد جعفر بن عبيد الله وأبا الحسن طيّب بن إسماعيل وأبا سعيد عثمان بن سعيد، واستكتب أبا البشر إبراهيم بن محمد البغدادي الشيباني وولى على بيت المال أبا جعفر الخزري وعلى ديوان الخراج أبا القاسم بن القديم وعلى السكة أبا بكر الفيلسوف المعروف بابن القمودي وعلى العطاء عبدون بن حباسة وعلى قضاء مدينة رقادة أفلح بن هارون الملوسي وأقر عمالة القيروان الحسن بن أبي الخنزير وعلى القضاء بها المروزي (البيان المغرب ، ١/ ١٥٩).

(٦٢) ذكر ابن عذار: إنَّ عبيد الله المهدي، أمر عروبة بن يوسف الملوسيّ وجبر بن نحاسب الميلي، أن يكمنا له خلف قصر الصحن، فإذا مرَّ بهما أبو عبد الله وأخوه أبو العباس، طعنوهما بالرماح حتى يموتا، فاستجابا هما هناك مع جماعة من كتامة، وبعث عبيد الله المهدي في استحضارهما طعامه على جاري عادته معهما، فلما مرا بالموضع الذي فيه الكمين وخرجا عليهما، صاح أبو عبد الله، بعروبة: " لا تفعل يا ولدي " فقال له عروبة:" أمرني بقتلك من أمرت الناس بطاعته وانخلعت له من الملك بعد توطئته " ثم طعنه بيده طعنة واحدة خرَّ منها صريعاً ووقعت في أبي العباس تسع عشرة طعنة وذلك يوم الثلاثاء وقت

الزوال مستهل ذي الحجة، ومكثا صريعين على صفِّ الحفير المعروف بالبحر إلى بعد الظهر، ثم أمر عبد الله بدفنهما فدفنا في الحنان وقال: " رحمك الله أبا عبد الله وجازاك في الآخرة بقديم سعيك " ولا رحمك الله أبا العباس فإنك صددته عن السبيل وأوردته موارد الهلاك " البيان المغرب ، ١/ ١٦٤.

(٦٣) العبر وديوان المبتدأ والخبر ،٤ / ٧٦ (حتَّ أبو عبد الله رؤساء كتامة على امتحانه وذكروا أن شيخاً منهم جاء إليه وقال له:" جئنا بآية من أمرك فقد شككنا فيك، فقتله المهدي على الفور).

(٦٤) رسالة افتتاح الدعوة ، ٢/ ٨٥.

(٦٥) ابن عذارى، البيان المغرب ، ١/ ١٦٥.

(٦٦) وخلط على ابن عذارى على أي نسب يرجع عبيد الله المهدي، فهو عبيد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن البصري (البيان المغرب ، ١/ ١٥٨).

(٦٧) وكانت رسالة عبيد الله المهدي تنص برواية ابن عذارى: " أما بعد فقد علمتم محل أبي عبد الله وأبي العباس من الإسلام فاستنزلهما الشيطان فطهرتما بالسيف " ويمضي في قصة قتلهما إن : أبا عبد الله نام يوماً بحضرة أصحابه وعنده جماعة من دعاة كتامة، فتحرك من نومه فانكشفت سؤته، فنظر بعضهم إلى بعض ولم يقدموا أن يستروه، فمدَّ عروبة بن يوسف يده إلى الملحفة فستره بها وانتبه أبو عبد الله فقال: " من سترني إذ انكشفت؟ " فقالوا له: عروبة فقال: " هو والله قاتلي " فجعل عروبة يبكي بين يديه ويقول له: " يا سيدي مرّ بقتلي، فقال له: " لا سبيل إلى ذلك! لكنك والله قاتلي " فكان الأمر كما ذكر. (ابن عذارى، البيان المغرب ، ١/ ١٦٥).

(٦٨) البيان المغرب ، ١/ ١٦٧.

(٦٩) البيان المغرب ، ١/ ١٦٨-١٦٩.

(٧٠) موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الدولة الفاطمية ص ٣٣٢.

(٧١) دور كتامة ص ٣٣٣.

(٧٢) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب.

(٧٣) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب.

(٧٤) تاريخ إفريقية والمغرب.

(٧٥) المعجب في تلخيص أخبار المغرب.

(٧٦) الدرّة المضيّة في أخبار الدولة الفاطمية(كنز الدرر وجامع الغرر).

(٧٧) المغْرب في حُلى المغرب.

(٧٨) العبر وديوان المبتدأ والخبر.

(٧٩) المؤنس في أخبار إفريقية وتونس.

(٨٠) لا يمكن أن يكونوا في العراق، يحكمه العباسيون المعادون للعلويين وكان أكثر الأئمة الأثنى عشر وقعوا ضحية غدرهم وتعسفهم وظلمهم، ولا في بلاد الشام تتقاسمها دويلات وإمارات ورثت العداء والنصب لآل علي بن أبي طالب عليهم السلام منذ واقعة الطف وما خلفته سياسة الأمويين من الكراهية، ولا في بلاد مصر التي تتبع الحكم العباسي، ولا في اليمن أو في الحجاز مما نجد لهم أتباعاً ومريدون وأنصاراً يتابعون أخبار الفاطميين في بلاد المغرب؟.

(٨١) وكان فيما مدح به شعر لمحمد البديل، كاتب قضاعة:

حـــلَّ برقـــادة المســـيح ... حـــلَّ بهـــا آدم ونـــوح
حـــلَّ بهـــا أحمـــد المصـــفّى ... حـــلَّ بهـــا الكـــبش والـــذبيح
حـــلَّ بهـــا الله ذو المعـــالي ... وكـــل شـــيء ســـواه ريـــح

(ابن عذارى، البيان المغرب ، ١/ ١٦٠).

(٨٢) ابن عذارى، البيان المغرب ، ١/ ١٥٣ "حدث ذلك يوم السبت خلون من ذي الحجة سنة ٣٩٦هـ (احتلَّ مدينة سجلماسة) يوم الأحد من السنة نفسها أخرج عبيد الله المهدي وابنه أبا القاسم من حبسهما.

(٨٣) رسالة افتتاح الدعوة وابتداء الدولة ، ٢ / ٩٣.

(٨٤) مدينة عظيمة بناها عبيد الله المهدي، إذ قام عليه أبو عبد الله الداعي وهو الذي أقامه ونصره، وبين المهدية والقيروان ٦٠ ميلاً قد أخاط بها البحر من جميع جهاتها إلاّ من الجانب الغربي (مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ص ١١٧؛ وقال عنها ياقوت: وهذه المدينة بإفريقية منسوبة إلى المهدي وبينها وبين القيروان مرحلتان القيروان في جنوبها(معجم البلدان ، ٨ / ٣٤٤-٣٤٥، وعنها قال الشريف الإدريسي كانت مرسى وفرضة للقيروان واستحدثها المهدي عبيد الله وسماها بهذا الاسم وهي في نحر البحر، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ١/ ٢٨١؛ والحميري قال عنها: مدينة محدثة بساحل إفريقية، كان يقال لتلك الناحية الجمة، بناها عبيد الله المهدي الشيعي الخارج على بني الأغلب وهو سماها المهدية نسبها إلى نفسه (الروض المعطار ص ٥٦١-٥٦٢.

(٨٥) لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام ق٣ (دار الكتاب، الدار البيضاء ١٩٦٤م) ص ٥٠.

(٨٦) العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ٤/ ٧٩.

(٨٧) البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص ٢٥-٣٠.

(٨٨)

(٨٩) البيان المغرب ، ١/ ١٦٩.

(٩٠) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص ٣٠-٣١.

(٩١) لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام ص ٥٠.

(٩٢) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر ،٤ / ٧٩.

(٩٣) البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص ٢٥.

(٩٤) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص ٢٩.

(٩٥) البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص ٣٠.

(٩٦) البيان المغرب ، ٢٠٧/١.

(٩٧) من الدول التي كانت تناجزهم، الدولة الرستمية وهم من الخوارج الإباضية (١٤٤-٣٣٦هـ/٧٢١-٩٤٧م) في المغرب الأوسط، ودولة بني مدرار من الخوارج الصفرية(١٤٠-٣٥٤هـ/٧٥٧-٩٦٥م) في المغرب الأقصى، ودولة الأدارسة العلوية(١٧٢-٣٧٥هـ/٧٨٨-٩٨٥م) في مدينة فاس في المغرب الأقصى وأجزاء من المغرب الأوسط.

(٩٨) وهي مدينة عظيمة بها قوم لونهم لون الحنطة، وهي بنواحي إفريقية بينها وبين سفاقس يومان أكثر أهلها حاكة ينسجون الثياب السوسية الرفيعة(ياقوت، معجم البلدان ، ٥ / ٩٣-٩٤، وقال عنها الكاتب المجهول: مدينة أزلية قديمة فيها آثار للأول وهي على ساحل البحر وفيها بنيان عظيم يسمى الملعب(كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ص ١١٩)، وعرّفها الحميري قائلاً: من بلاد إفريقية، مدينة قديمة فيها آثار للأول وهي على ساحل البحر وفيها بنيان عظيم يسمى الملعب (الروض المعطار ص ٣٣١).

(٩٩) بلدة صغيرة في طرف أفريقية من ناحية المغرب من عمل الزاب الكبير بالجريد(ياقوت، معجم البلدان ، ٧ / ٧٧، وقال الكاتب المجهول: مدينة كبيرة قديمة أزلية كان لها سور حصين من صخر جليل بأحكم صناعة(كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ص ١٥٠) وقال الشريف الإدريسي: مدينة حسنة ذات سور ونهر جارٍ ماؤه أطيب من ماء قسطيلية نزهة المشتاق ، ١/ ٢٧٧، وعنها قال الحميري: من البلاد الجريدية بينها وبين تقيوس مرحلة وهي كبيرة قديمة أزلية (الروض المعطار ص ٤٧٧-٤٧٩).

(١٠٠) مدينة من نواحي إفريقية، جلّ غلاتها من الزيتون وهي على ضفة الساحل(ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ٥ / ٤٨، وقال عنها الكاتب المجهول: مدينة أزلية عليها غابة كبيرة من الزيتون(كتاب الاستبصار ص ١١٦،ووصفها الشريف الإدريسي: بأنها مدينة قديمة عامرة لها أسواق كثيرة وعمارة شاملة(نزهة المشتاق ، ١/ ٢٨٠، وقال الحميري: مدينة بإفريقية بينها وبين قفصة ثلاثة أيام وهي مدينة عامرة، لها أسواق كثيرة وعمارة شاملة وعليها سور حجارة (الروض المعطار ص ٣٦٥-٣٦٦).

(١٠١) البيان المغرب ، ١ / ١٧٢.

(١٠٢) ترجمته في: لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ٢ / ٣١٠.

(١٠٣) ترجمته في : ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ٣ / ١٧٩.

(١٠٤) البيان المغرب ، ١٨١/١.

(١٠٥) ترجمته في: لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام ص ٩٨.

(١٠٦) يقول ياقوت: هي " أُشمون " بالنون وأهل مصر يقولون أشمونين، وهي مدينة قديمة أزلية عامرة آهلة إلى هذه الغاية، وهي قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربي النيل (معجم البلدان ، ١٦٣/١) وفي كتاب

الاستبصار في عجائب الأمصار: قرية لها الأشمون، لا أحد أن يقرب من شاطئها ص ٨٥ وقال عنها الشريف الإدريسي: مدينة مشهورة يعمل بها وفي طرزها ستور صوف وأكسية صوف منسوب إليها ويقال أن التمساح يضرُّ في عدوة الأشموني(نزهة المشتاق ، ١٢٥/١).

(١٠٧) البيان المغرب ، ١٨٢/١.

(١٠٨) ابن عذارى، البيان المغرب ، ١/ ٢٢١.

(١٠٩) ترجمته في : ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ٣٤٨/١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ٤ / ٢٨؛ ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، ٣ / ٤١٦؛ ياقوت، معجم البلدان ، ٤ / ٣٠١، مادة: القاهرة، ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٩٠؛ ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ٤ / ٦٧٤.

(١١٠) البيان المغرب ، ١/ ٢٢١.

(١١١) معجم البلدان ، ٧/ ١٤.

(١١٢) بن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ٤ / ٩٠.

(١١٣) المقريزي، الخطط ، ٢ / ١٢؛ محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية ص ٩٣.

(١١٤) المقريزي، الخطط ، ٢/ ٢٦.

(١١٥) المقريزي، الخطط ، ٢ / ٣٦-٣٧.

(١١٦) محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية ص ٩٤.

(١١٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ٤/ ١٨١-١٨٢.

(١١٨) المقريزي، الخطط ، ١/ ١٨١.

(١١٩) ابن ميسر، تاريخ مصر ص ١٧.

(١٢٠) كان بدر الجمالي أرمنياً للأمير جمال الدولة، ثم أخذ يترقى في المناصب لما أظهره من كفاية خلال الحروب التي قامت في بلاد الشام حتى وليَ إمارة دمشق من قبل المستنصر سنة (٤٥٦هـ) وأخذ يحارب الأتراك في تلك البلاد ولم يلبث أن أصبح من أقوى قوادها، ثم تقلد نيابة عكا سنة (٤٦٠هـ)، (المقريزي، الخطط ، ١/ ٣٨١).

(١٢١) المقريزي، الخطط ، ١/ ٣٨١.

(١٢٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٣٠٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى ، ٣ / ٢٣٦؛ المقريزي، الخطط ، ٣٥٧/١؛ ماجد، نظم الفاطميين ورسومهم ص ١١.

(١٢٣) ابن سعيد المغربي، المغرب في حُلى المغرب ، ١/ ١٧٥.

(١٢٤) ابن عذارى، البيان المغرب ، ١ / ٢٢٨؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الخلفا ص١٤٧.

(١٢٥) لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعمال ، ٣ / ٥٨.

(١٢٦) المقريزي، اتعاظ الحنفا ص ١١٥-١١٦؛ النويري، أحمد بن عبد الوهاب(ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) نهاية الأرب في فنون الأدب (القاهرة . ١٩٢٣م) ،٢٦ / ٤١ " عبارة: علي أفضل الوحيين ووزير خير المرسلين ".

(١٢٧) كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ص ٨٣.

(١٢٨) الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٤٥٠.

(١٢٩) وذلك على غرار " بيت الحكمة " في بغداد، التي أقامها الخلفاء العباسيون، إذ تعهدوها بالرعاية والإنماء ، حتى أصبحت بمثابة جمعية علمية (أكاديمية) التي تُعنى بالعلوم ودراستها واستيعابها والتناظر والتحاور فيها. وتعني أكاديمية هي موضع ظليل بأشجار الزيتون في ضواحي مدينة أثينا في اليونانيسمى " أكاديمية أفلاطون " يلتقي فيه طلابه ومريديه ليحاورهم ويعلمهم الفلسفة والعلوم وقد تتلمذ " أرسطو " على أُستاذه أفلاطون في أكاديميته " (عبد الحليم منتصر، تاريخ العلوم ودور العلماء العرب في تقدمه (دار المعارف، مصر . ١٩٧٥م) ص ٢٨-٣٠).

(١٣٠) المقريزي، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار (بولاق . ١٢٧٠هـ) ، ١/ ٤٠٩.

(١٣١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (الطبعة الأوربية . ١٨٥٥م) ، ٢ / ٤٨٢.

(١٣٢) ذكره أبو شامة نقلاً عن الأصفهاني، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، طبعة القاهرة ، ١/ ٢٦٨.

(١٣٣) كتاب الروضتين ، ١/ ٢٧١.

(١٣٤) اتخذه أسد الدين شيركوه، عم صلاح الدين الأيوبي، كاتباً له، ومن ثم اتخذه الأخير كاتباً وسكرتيراً له واستعان به كمنظّر لإزالة الدولة الفاطمية، ومنذ استأثر صلاح الدين بحكم مصر استخلصه وزيراً ومستشاراً له، وقد بقى في الوزارة حتى سنة ٥٩٦هـ، وله كثير من الرسائل والكتب والمصنفات(ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ١/ ٣٥٧-٣٥٩؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار ، ٢ / ٣٦٦.

(١٣٥) المواعظ والاعتبار ، ٢/ ٣٦٦.

(١٣٦) غريغوريوس، أبو الفرج بن أهارون الملطي(ت ٦٨٥هـ)، تاريخ مختصر الدول (وقف على تصحيحه وفهرسته الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، (لبنان . ١٩٨٣م) ص ٣١٦.

(١٣٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ،٤ / ٣٢-٣٣؛ أحمد أمين، ظهر الإسلام ، ١/ ١٨٨.

(١٣٨) ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ١/ ١٤٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ،٤ / ٣٣.

(١٣٩) المقريزي، الخطط ، ٤ / ١٥٦؛ عنان، عبد الله، تاريخ الجامع الأزهر، (القاهرة . ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م) ص ١٨-٢٠.

(١٤٠) المقريزي، الخطط ،٢ / ٢٢٦؛ القلقلشندي، صبح الأعشى ،٣ / ٤٨٧؛ الأعظمي،حسن محمد، عبقرية الفاطميين ص ٨٥.

(١٤١) دار الحكمة أو دار العلم أنشأها الحاكم بأمر الله الفاطمي في العاشر من جمادي الآخر سنة (٣٩٥هـ)، (المقريزي، الخطط ،٢/ ٣٢٤).

(١٤٢) المقريزي، الخطط ،٢ / ٣٣٤.

(١٤٣) النعمان، المجالس والمسايرات ص ١١٧-١١٨.

(١٤٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ١/ ٤٢٦؛ سرور، محمد جمال الدين، تاريخ الدولة الفاطمية في مصر، دار الفكر العربي، (القاهرة. ١٩٧٤م)، ص ٧٩.

(١٤٥) ياقوت الحموي، معجم الأُدباء ،٧ / ٢٢٥-٢٣٠.

(١٤٦) ياقوت الحموي، معجم الأُدباء ، ٢ / ٦.

(١٤٧) القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن القاضي الأشرف القفطي(ت ٦٤٦هـ/١٢٦م)، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، (الخانجي. ١٣٢٦هـ)، ص ١١٤-١١٥.

(١٤٨) ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ٢ / ٨٥-٨٦.

(١٤٩) ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ٦ / ٢٤٢-٢٤٥.

(١٥٠) ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ٦ / ٣٤٢-٣٤٣.

(١٥١) المقريزي، الخطط ، ٢ / ٣٢٦.

(١٥٢) المقريزي، الخطط ، ٢ / ٣٤٢.

(١٥٣) المقريزي، الخطط ، ٢ / ٢٧٣-٢٧٧.

المصادر

١- ابن الاثير ، عزالدين محمد بن عبدالكريم الشيباني الحذري (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣م) ، الكامل في التاريخ ، (بيروت – ١٣٨٧هـ / ١٩٦٦م) .

٢- الادريسي ، الشريف ابو عبدالله محمد بن عبدالعزيز (ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٤رم) ، نزهة المشاق في اختراق الافاق ، تحقيق لوزي ، (ليدن – ١٨٦٦م) .

٣- البكري ، ابوعبدالله بن عبدالعزيز (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) ، المعرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب ، المطبعة الاوربية ١٨٥٧م .

٤- الداوداري ، ابو بكر بن عبدالملك بن إيبل (ت ٧٣٦هـ / من علماء القرن الثامن الهجري) ، الدرة المضيئة في اخبار الدولة الفاطمية ، (القاهرة ، ١٩٧٢م (

٥- الذهبي ، محمد بن عبدالله بن احمد (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) ، العبر في خبر من غبر ، تحقيق فؤاد السيد ، الكويت – ١٩٦٠ م .

٦- الحميري ، محمد عبدالمنعم (ت ٨٦٦هـ / ١٤٦١م) ، الروض المعطار في خير الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، مكتبة لبنان ، ط٢، ١٩٨٩م .

٧- ابن الخطيب الغرناطي ، محمد لسان الدين التلمساني (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م) ، اعمال الاعلام في من بويع قبل الاصلاح من ملوك الاسلام ، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المكشوف ، (بيروت – ١٩٥٦م).

- الاحاطة في اخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبدالله عنان (القاهرة – ١٣١٩م) .
٨- ابن خلكان ، احمد بن محمد بن ابراهيم (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) ، وفيات الاعيان وابناء الزمان ، اعداد ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ، ١٩٨٠م .
٩- ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) ، تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر ، (بيروت – ١٩٥٩م) .
١٠-ابن تغري بردي ، جمال الدين ابي المحاس يوسف بن تغري بردي الاتابكي (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠م) ، النجوم الزهرة من ملوك مصر والقاهرة ، طبعة القاهرة ، لا. ت .
١١-ابن سعيد ، علي بن موسى المغربي (ت ٦٧٣هـ /، ١٢٧٥م) ، المغرب في حلى المغرب ، (ليدن – ١٨٩٨م) .
١٢-ابو شامة ، شهاب الدين ابو محمد عبدالرحمن الدمشقي (ت ٦٦٥هـ/١١٤٧) ، الروضتين في اخبار الدولتين ، تحقيق محمد محمد احمد ، (القاهرة – ١٩٦٢م) .
١٣-ابن شاكر الكتبي ، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ ،١٣٧٤م) ، فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة بيروت لا . ت .
١٤-الشهرستاني ، ابو الفتح محمد بن عبدالكريم (ت ٥٤٨ هـ)، الملل والنحل ، دار المعرفة ، بيروت – ٢٠٠١ م
١٥-ابن عذاري ، محمد بن عذاري المراكشي (ت ٧١٢هـ / ١٣١٢م) ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، (بيروت – ١٩٥٠م) .
١٦-ابن عساكر ، القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت ٥٧١هـ/١١٨٢م) ، تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، دار احياء التراث العربي .
١٧-ابو عبدالله محمد بن علي حماد (ت ٦٢٨هـ / ١٢٣١م) ، اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق التهامي نقرة وعبدالحليم عويس ، دار الصحوة للنشر ، (القاهرة – ١٩٨٠م) .
١٨-العيني ، بدرالدين محمد بن احمد (ت ٨٥٥هـ) ، عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ، (القاهرة – ١٩٣٩م).
١٩-الغزالي ، ابو حامد محمد بن محمد بن احمد الطوسي الغزالي (ت ٥٠٥هـ / ١١١٦م) ، فضائح الباطنية ، (القاهرة – ١٩٦٤) .
٢٠-غريغورس ، ابو الفرج بن اهارون الملطي (ت ١٨٥هـ)، تاريخ مختصر الدول ، تحقيق الاب انطوان صالحي اليسوعي ، دار الرائد البنان ، (لبنان – ١٩٨٣ م) .
٢١-القلقشندي ، ابو العباس شهاب الدين احمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ / ١٥١٨ م) ، صبح الاعشا في صناعة الانشا ، (القاهرة – لا . ت) .

٢٢-القفطي ، جمال الدين ابو الحسن علي بن القاضي الاشرف (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) ، اخبار العلماء باخبار الحكماء ، (الخانجي ١٣٢٦هـ) .
٢٣-المراكشي ، ابو عبدالله محمد (ت ٦٩٥ هـ) ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب (دار الثقافة – ١٩٢٩م) .
٢٤-المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ٤٤٠١م)
- المواعظ والعبر في ذكر الخطط والاثار ، (القاهرة – ١٨٥٣م) .
- اتعاظ الحنفاء في ذكر الائمة الخلفاء ، (القاهرة – ١٩٤٨م).
٢٥-ابن ميسر ، محمد بن علي بن جلب (ت ٦٧٧هـ / ١٢٨٧م) ، تاريخ مصر، طبعة هنري ، مطبعة (القاهرة – ١٩١٩م) .
٢٦ - مؤلف مجهول ، كتاب الاستبصار في عجائب الامصار ، الناشر سعد زغلول عبدالحميد ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، دار النشر العربية ، ١٩٥٨م .
٢٧-النويري ، احمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣١م) ، نهاية الادب في فنون الادب ، (القاهرة – ١٩٢٣م) .
٢٨-النعمان ، ابو حنيفة ابو عبدالله محمد بن منصور بن احمد بن حيون المغربي التميمي (ت ٣٦٣هـ / ٩٧٤م)
- المجالس المسايرات ، تحقيق الحبيب الفقي واخرون ، (تونس / ١٩٧٨م) .
- رسالة افتتاح الدعوة وابتداء الدولة ، (بيروت – ١٩٧٠م) .
٢٩-ياقوت ، شهاب الدين ابو عبدالله بن عبدالله الحموي الرومي ، (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) ، معجم البلدان ، تقديم عبدالرحمن المرعشلي دار احياء التراث العربي،(بيروت – ١٠٩٦م) .

المراجع الحديثة

١-احمد امين ، ظهر الاسلام ، (القاهرة – ١٩٦٢)
٢-الاعظمي ، حسن محمد ، عبقرية الفاطميين ، منشورات دار مكتبة الحياة .
٣-حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، (القاهرة – ١٩٥٨م) .
٤-عبدالله عنان ، تاريخ الجامع الازهر ، (القاهرة – ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م).
٥-عبدالحليم منتصر ، تاريخ العلوم ودور العلماء العرب في تقدمه دار المعارف في مصر – ١٩٧٥م
٦-ماجد عبدالمنعم ، نظم الفاطميين ورسومهم ، مطبعة البيان ، (القاهرة – ١٩٥٣م).
٧-محمد جمال الدين سرور ، تاريخ الدولة الفاطمية في العربي في مصر ، دار الفكر العربي ، (القاهرة – ١٩٦٥م)
٨-موسى قبال ، دور كنامة في تاريخ الدول الفاطمية ، الجزائر ١٩٧٩ م .